د. أحمد السعيد مراد

رواية

كنز اليد الواحدة

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

كنز اليد الواحدة

(رواية)

د. أحمد السعيد مراد

عن الرواية..

اشتهرت منطقة مضيق جبل طارق بغرق مئات السفن فيها في ظروف أشد غموضا من مثلث برمودا الشهير.

وكان من أهم تلك السفن؛ واحدة محملة بالذهب المنهوب من القارة اللاتينية، بعد المذابح الشنيعة والإبادة شبه التامة لأهلها الأصليين.

وفي عام 1804 أبحرت السفينة المسماة (نويسترا سنيورا دي لاس ميرسيدس) محملة بالكنوز المعتادة، لتلحق ببعض زميلاتها في قاع البحر عند مضيق جبل طارق، ظلت قابعة في الظلام حتى عام 2007، إلى أن قام فريق المغامرين الأمريكان التابعين لشركة (أوديسا للاستكشافات البحرية) بالعثور عليها.

وبعد مغامرة أفلحوا فيها بالإفلات من مطاردة السلطات الإسبانية، وصلت الكنوز إلى الأرض الأمريكية،

ولم تصمت الحكومة الإسبانية فلاحقتهم بالقضاء الدولي، ونجحو عام 2012 في الحصول على أحقية هذه الكنوز المقدرة تقديرا أوليا بـــــ 500 مليون دولار، وأعلنوا أن هذه الكنوز سوف يتم عرضها بأحد المتاحف الإسبانية الكبرى، ولم يتم ذلك حتى الآن!

ما سر هذه السفينة تحديدا؟

ولم لاحقتها إسبانيا بهذا الإصرار؟

وهل كانت الكنوز الذهبية هي الشيء الوحيد الثمين فيها حقا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحياة كلها تحديات تتفاوت درجاتها،
والقوي من يصطفيه الله لصراع يفوق عوام البشر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عام ١٠.٠٠٠ قبل الميلاد، تألقت المروج الخضراء على مدّ البصر في جمال طبيعي رباني باهر، انطلق ذلك الرجل ذو الملامح الغليظة بجسده الضخم، ولباسه البسيط المكون من جلد البقر، انطلق على صهوة جواده الكبير والذي لا يقل عنه عنفوانا وقوة، وبصرخات متقطعة حث الرجل حصانه على مضاعفة سرعته نحو منطقة الأشجار الكثيفة السامقة شاهقة الارتفاع؛ كأنما تنطلق رغبة منها في معانقة السماء، وما إن وصل الجواد إلى حافتها حتى هدأت سرعته بشكل تلقائي لما تعود عليه سابقا، ودخل بينها وهو لا يكاد أن يمس الأرض، حتى لا يصنع وقع حوافره أي صوت مع ملامستها للأعشاب الجافة عليها!

وأخيرا توقف تماما بعد أن مس الرجل رقبته بحركة لطيفة على جانبها الأيمن، أرهف الرجل سمعه بقوة، ولم يسمع شيئا، حتى زقزقة العصافير توقفت بصمت مهيب لم يعتده أبدا!

هبط عن جواده وارتمى على الأرض ملصقا أذنه اليمنى بها عسى أن يجد دليلا عن صيد قريب لينطلق نحوه، ولكن كأنما ديدان الأرض نفسها قد توقفت عن التنفس، فلم يجد سوى الصمت التام، وعندما وقف وهو يتشمم الهواء بعمق، إذ بالحصان يهز رقبته يمينا ويسارا بقوة وهو يضرب الأرض بقائمتيه الأماميتين، علم الرجل أن هناك خطراً يترقبه، شعر به حصانه بحاسته الخاصة التي تسبق بني البشر في إدراك الكثير من الأمور؛ مثل المطر والعواصف وكذلك الزلازل، لم يتأخر الرجل في الاستجابة لتحذير الحصان فاستقله بسرعة ومهارة، ولكن قبل أن ينطلق به عائدا، إذ بصوت قوي لم يسمع له مثيلا من قبل، صوت مصدره السماء، قوته وطبيعته تخالف الرعد تماما، فما كان منه إلا محاولة استراق البصر نحو السماء ليكتشف مصدر هذا الصوت العجيب، وحجبت الأشجار عنه ما أراد، فانطلق بحصانه خارجا عن حُجبها، وبعد أن ابتعد مسافة كافية، توقف وهو يمعن النظر نحو السماء التي لم تبخل عليه بما يريد!

فقد أرسلت نحو الأرض أمطارا عجيبة؛ فقط خمسة كتل نارية ضخمة الحجم كانت تهبط مسرعة بشكل متوازٍ ومتباعد عن بعضها البعض، ظل يراقبها حتى ارتطمت بالأرض في صوت آخر جديد لم يطرق أذنه من قبل!

كانت كلها داخل منطقة الأشجار ما عدا واحدة خاصمت منطقة الأشجار مسافة لا تتجاوز عشرة أمتار، ارتطمت بالأرض مثيرة ترابها وطميها اللذين ارتفعا إلى مسافة لا بأس بها، وبعد أن عادا إلى حضنها الأبدي، ظهرت حفرة عميقة بموضع الارتطام، يخرج منها دخانٌ أسودٌ كثيف، رغم الرهبة والخوف اللذين احتلا قلبه من مواجهة المجهول الذي يراه لأول مرة، إلا أن فضوله الذي تربى عليه كأهم غرائزه الأساسية، دفعه لأن ينطلق نحوها بجواده؛ الذي

انطلق معه بهدوء وبلا أي حركات تشير لخطر وشيك، مما دفعه لأن يلكزه طالبا منه مضاعفة سرعته، وعندما وصل، جاهد حتى ارتقى كتل الطمي التي ارتفعت على شكل دائرة حول الحفرة التي صنعتها كتلة اللهب الساقطة، وما إن وصل لقمتها وذهب ببصره نحو قاع الحفرة حتى ارتعد بقوة وارتد للخلف بحركة لا ارادية تسببت في سقوطه ودحرجته إلى أسفل، ولحسن حظه لم يكن نحو قاع الحفرة، وإنما خارجها!

فما رآه داخل هذه الحفرة إنما هي حتما إحدى بيضات الشياطين، وسوف تفقس بعد وصولها من السماء؛ لتخرج لهم أبالسة؛ حتما سيشعلون حروبا ومذابح تقضي على كل حي أيا كان من لحم ودم أو حتى نبات!

امتطى حصانه وانطلق به كالريح لتحذير طائفته من الخطر الرهيب المحدق بهم.

وطوال رحلته لم يغب عن مخيلته ما رأى هناك؛ فقد كانت بيضة عملاقة لم ير مثلها بهذا الحجم أبدا، يحيطها دخان أسود كثيف، ومن بين ثنايا الدخان المعتم يومض منها ضوء أزرق لامع؛ حتما هو ضوء شيطاني يوحي باقتراب فقس هذه البيضة، هي والأربعة اللاتي وقعن داخل منطقة الأشجار.

وكان ذلك في القطعة الأرضية التي نسميها الآن أمريكا الجنوبية، وتحديدا في كولومبيا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عام ١٥٠٢ بعد الميلاد

تحولت تلك الجنّة الأرضية التي كانت ترفل في نعيم الطيبة، والبساطة، والكرم، والهدوء، تحولت إلى أرض الدماء التي تسيل بسبب حروب الإبادة بشكل ينافي كل عقل أو فطرة بشرية!

فقد جاء الجند الأسبان في ثلاث سفن ضخمة، بعد أن عاد إليهم الرجل الشهير كولومبس ليعلن اكتشاف أرض جديدة خصبة وثرية، فسال لعاب ذلك المحتل ليظهر أنيابه السامة شديدة التوحش، وجاء مسرعا ليتفنن في سبل القتل والتدمير؛ لاجتذاذ أصحاب الأرض من جذورهم، والعجيب أنهم في العصور الحديثة بنهاية الألفية الثانية، أظهرت كل أدبياتهم وأعمالهم المتلفزة والسينمائية، أظهرت أصحاب الأرض المسمون (بالهنود الحمر) أنهم شديدي التوحش؛ يشتهون الدماء أكثر من تعطشهم للماء!

ومن بين المعارك التي دارت، تلك المعركة الكبرى المسماة (ظل الذئب)

ظل أصحاب الأرض ينافحون ويبذلون دمائهم بكل شجاعة، وبشراسة حقيقة لم يعهدها المحتل الأسباني، وأخيرا أدرك قائد المحتلين القتلة بأن شراسة

قتال أصحاب الأرض وصمودهم بتلك المعركة، والتي يضحون فيها بأنفسهم طواعية وبكل بساطة، حتما لأن الصيد ثمين هذه المرة، فتوقف القتال شهرا كاملا لدراسة وتقييم الموقف، وانطلقت أعينه لترصد له بجانب مواقع القوة والضعف؛ تبحث عن مكان يعج بالحراسة بشكل مبالغ فيه، وحتما سيكون هذا هو مرقد الكنز الذي يدفع بدماء الشجاعة الفائقة هذه في قلوب الرجال.

وعندما فشل في ذلك، لم يتبق معه سوى افتراس من معه من الأسرى؛ لاستنزاف أي معلومة تلوح له بطبيعة الهدف الذي قد يسعى وراءه.

وجملة واحدة تلفّظ بها أحدهم كانت سببا في تغيير مسار المعركة بالكامل، فبينما كان يكتوي الأسير بنار التعذيب إكتواءً حقيقيا لا مجازا، هتف قائلا: - اقتلونا جميعا، ولكن لن تصلوا أبدا لحافظ الجمرة!

وهنا بعد أن كان الهدف الأول لسقوط كل موقع هو قتل زعيم القبيلة، أدرك القائد أن هدفه ليس ذلك الزعيم هذه المرة، بل ربما يجب الحفاظ على حياته، حتى يرشده لذلك الحافظ!

ولم يتوقف سؤاله وفضوله لمعرفة تلك الجمرة التي خُصص لها وظيفة لم يسمع عنها من قبل، وظيفة الحافظ لها!

وبعد شهر آخر تمت إبادة آخر رجل في القبيلة، ولم تظهر أبدا تلك الجمرة أو حافظها، مما دفع القائد لأن يهدم جميع البيوت ويحرقها بعد تفتيشها تفتيشا كاملا بحثا عن كل المخابيء والكهوف التي قد تحوي في باطنها ذلك الكنز الثمين، والذي يطلق عليه هؤلاء الأغبياء اسم (الجمرة)!

وقبيل أسبوع من مقتل آخر الرجال الشجعان لهذه القبيلة، كان أحد أقوى الفوارس ينطلق بسرعة تفوق السرعة القصوى له، وعلى ظهره رجل يرتدي أحد أزياء القاتل المحتل، ولكن في داخله قلب ملتاع يدرك بأنه الأخير والوحيد الذي نجا وسينجو من هذه المعركة، فبعد اجتماع قصير خلص فيه الرجال بأن الحفاظ على الجمرة هو أغلى من الحفاظ على أرواحهم وأنفسهم، تفتق ذهنهم على سحب جثة لأحد الأعداء في خضم المعركة، ونزع ثيابها ليهرب الحافظ برفقة جمرته التي ولد وتربى وعاش للحفاظ عليها وفقط، فهذا هو الإرث الذي ظلت أجيالهم تتوارثه بمنتهى التقديس منذ أجدادهم الأوائل الذين حموا الأرض من كل شياطين السماء التي هبطت إليهم لتقضي على جميع بني البشر.

وقبيل الخروج من بين أشجار الغابة المتاخمة للنهر، إذ به يظهر له كشيطان مريد ينتظره ويتربص ظهوره؛ إنه ذلك المقاتل الأسباني قوي البدن شديد

البأس، كان الحافظ على متن جواده المنطلق بسرعة يحاول شد اللجام لتوقفه أو تهدئه سرعته وهو ينظر يمنة ويسرة بحثا عن مخرج له، ولم يجد!

ابتسم الجندي الأسباني بثقة، وبمنتهى التأني سحب أجزاء سلاحه، وقام بتوجيهه نحو رأس "حافظ الجمرة" والذي أصبح على بعد أمتار قليلة منه.

وأخيرا ضغط الزناد وعيناه تحملان ظفرا كبيرا بغنيمته التي فاز بها.

وبعد قليل وصل حافظ الجمرة إلى مجرى النهر!

فقَبَّل رقبة حصانه وتركه لينطلق إلى حال سبيله، بينما كان سعيه إلى تيار النهر، وعندما أصبح بمنتصفه، استلقى على ظهره وقد ربط كنزه المقدس على بطنه وهو داخل كيسه الخيشي، وفرد الرجل ذراعيه وقدميه وترك التيار ليحمله وينطلق به إلى مصبه، وعند المصب اعتدل الرجل وقاوم حتى وصل إلى الجانب الأيمن والذي كان يحاذيه شبه جدار صخري، توجه نحو ذلك الجدار ومد يده نازعا سيقان الأشجار القوية عنه؛ ليظهر خلفه ما يشبه الكهف متوسط الحجم، وبلا تردد تقدم إلى داخله وأعاد سيقان الأشجار لموضعها، وأخيرا نام قرير العين؛ وقد نجحت مهمته بإنقاذ جمرته، والتي كانت تسمى قديما "بيضة الشيطان" التي أخرجها من كيسها الخيشي لتضيء له كهفه بتوهجها الأزرق اللامع!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فرانسيسكا سواريس من الموريسكيّات الشهيرات في أمريكا اللاتينية، سليلة الأسر المسلمة التي فَرْت من جحيم الأندلس بعد سقوطها؛ على متن السفن الاسبانية التي جاءت لاحتلال القارة اللاتينية!

كانت معروفة بلقب (البلنسية)، ومن الشخصيات المعروفة في ليما ما بين أعوام ١٥٣٠ و ١٥٥٠، استطاعت إنشاءَ فندق ومخبزة، كما حازتْ خمس منازل إلى جانب منزلها الخاص، وتزوّجت أربع مرّات؛ واحدة من الزيجات كانت بأنطونيو دي طوليدو الذي ساعدها في إدارة شئون الفندق، ولكنْ سرعان ما تمّ إلغاء الزيجة من طرف السلطات الأسبانية؛ وذلك بسبب حدوث حالةٍ لطالما تكرّرت في المجتمع الاستعماري: لقد كان زوجها متزوّجًا بأخرى؛ استسلم المستوطنون الجدد لإغراء الارتباط بأخرى، ونسيان الزوجة الأولى في أسبانيا، خاصّة إذا ما كانت زوجة فقيرة بعيدة أمام أخرى غنية قريبة.

كان زوجها طوليدو متزوّجًا في إسبانيا فرفعت الزوجة هناك دعوى قضائيّة ضدّه، وعلمتْ محاكم التفتيش بالأمر سنة ١٥٥٤ فقامت بترحيله بعد أن أبطلت زواجَه بالموريسكية البلنسية، وبما لها من قوة وحضور وحيلةٍ؛

استطاعت فرانسيسكا أن تحجب أنظارَ محاكم التفتيش عنها؛ تلك المحاكم التي أنشأت خصيصا لإبادة المسلمين الملقبين بالموريسكيين في بقايا الأندلس، وهنا مجددا بعد بزوغ نجمهم مرة أخرى بالقارة اللاتينية!

ولهذا جاء الاجتماعُ العجيب في منزلها؛ ضمّ القائد والفارس العربي العظيم، وشخصية مسيحيّة نقية، وكذلك أخرى يهودية معتدلة!

تحدّث القائدُ المسلم قائلًا:

- ديننا عنوانُه الرّحمة، حتى في حروبنا كانت التعليمات واضحة جليّة؛

ألّا نقتل شيخًا أو طفلًا ولا امرأة، بل طال الأمر ألّا نقطعَ شجرة، وفي أغلب البلاد التي تمدّد فيها الإسلام؛ ما تمّ ذلك إلّا بحُسن المعاملة والدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﴾ سورة الممتحنة آية [٨].

ردّ عليه المسيحي قائلًا:

- وديننُا عنوانه المحبة، ومن أبرز تعاليمه التسامح والرحمة.

وقد ورد في العهد الجديد" لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إلى مُبْغِضِيكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا. وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ" (لوقا ٦:٢٧- ٣٠).

تكلّم اليهودي قائلًا:

- وفي تعاليم التوراة كانت الرحمة والتسامح من الأخلاق الرئيسية التي يجب أن نتربّى عليها، وقد جاء منها: "لا تنتقم ممّا فعله الآخرون بك، ولا تذكر ابن شعبك بذلك، وأحبّ لغيرك كما تحبّ لنفسك") تثنية الاشتراع ٣٢-٣٥).

تنهّد الفارس المسلم وقال:

- لو اتّبع كلّ شعبٍ منّا ما جاء في صحيح تعاليم دينه؛ ما سالت قطرةُ

دمٍ من إنسان كرّمه الله ونفخ فيه من روحه، وما سالت عدوانًا وظلماً بمثل ما ًيغشى الأرض كلها الآن.

قال المسيحي:

- هذا صدقٌ وحقّ.

تساءل اليهودي:

- شكرًا على التّذكرة، ولكن لِمَ هذه السّرية المطلقة طالما كان من الممكن تذكير الجميع بها على الملأ؟!

ردّ الفارس العربي قائلاً:

- تذكيرُ الجميع بها على الملأ لن يفيد، ولن يغيّر من الأمر شيئًا، بل يجب علينا الآن الإعداد لخطّة طويلة المدى قد تصل إلى مئاتِ الأعوام لتربية جيلٍ يؤمن بهذه المبادئ، ويكن فيها التّعاون جنبًا إلى جنب، يجب التّخطيط العميق الموحد لوصول مَن يؤمن بها إلى مواقع القيادة فيمكنُه صُنْع فارق بها.

- نعْمَ التّفكير، ولكن كيف سيتمّ ذلك؟

- أوّلاً سنطلق على هذه المنظمة اسم)اليد الواحدة(ونضع سويًّا مبادئها، وبعدها تتوسّع دائرة التفكير لدراسة السبل التي يجب السّير فيها لتحقيق الهدف بتدرّج وبطء، ولا نتعجل جني الثمرة مهْما طال بالشجرة الزمان.

- نوافقُ على ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

للمرة الأولى ينصرف ذهن عامر تماما عن المشاهد التي كانت تأخذ لبه وفكره وخواطره أثناء استقلاله للطائرة التي تنساب به فوق الكثبان السماوية البيضاء، كأنما تنزلق فوق جبال من الجليد، فقد كان شاردا خائفا مترقبا لمجهول لا يدري ما هو!

انطلقت ذاكرته لتجتر بداية كل ذلك.

تلك التي كانت مع تطبيق حديث يسمح بالمرافقة في السفر والسياحة، وضع بياناته فيه، ورغبته في السفر لأي دولة ناطقة بالإسبانية، وكانت المفاجأة بدعوته من فتاة كولومبية ساحرة الجمال اسمها (ماريانا)، لزيارتها في قصر والدها (جيفيد)، مع تكفلّها بكافة النفقات، وهناك مع الثرية المرفهة المدللة بأقصى ما يكون، يكتشف أنه لم يكن سوى وسيلة لإغاظة حبيبها السابق! ولكن يُعجب والدها بشهامته بعد مواقف تفرّد بها، فيقرر له البقاء ما شاء ويصحبه معه في جولاته الدولية بطائرته الخاصة، ليزداد إعجابه به حتى إنّه عرض عليه تزويجه من ماريانا الجامحة، وفور علم والد عامر بذلك يسارع بتزويجه من (عبير)؛ الفتاة البسيطة التي كان يحبها قبل انغماسه في كل ذلك، ويستمر عرض جيفيد ببقاء عامر وزوجته في القصر مع تكفله بكافة مصاريف الإقامة والدراسة لهما!

وتتفاعل الأحداث وتتداخل وفي إحدى رحلات عامر برفقة جيفيد إلى بوليفيا، يُقتل جيفيد في حادث غامض، وقبيل عودة عامر إلى مصر وبعد انتهاء كل شيء بموت الرجل الذي كان يعامله كوليد له، يكتشف عامر عالما خفيا وأسراراً كثيرة.

جيفيد كان الرئيس الأخير لمنظمة اليد الواحدة، وفي لقاء سري مع رجل أكاديمي في مكتبته الضخمة المعبقة بالتاريخ، يقص على عامر كل الخفايا والأعاجيب، والتي كان أكبرها أن عامر نفسه هو المرشح الآن لرئاسة تلك المنظمة حسب قواعدها الغريبة؛ التي تلتزم بتصويت على من قام الرئيس السابق بترشيحه، ولكن كيف يتم التصويت عليه وهو ليس عضوا فيها بعد؟ فقد كان في مرحلة التربية والإعداد على يد جيفيد!

ومع ذهول ورفض عامر لكل ذلك وأنه غير مؤهل لأي شيء منه، شرح له الرجل أن الأمر مُخطط ومُعد له بعناية، وكل المطلوب منه أن يعيش حياة طبيعية في بلده، وعندما تحين اللحظة المرتقبة سيتم التواصل معه، واختتم اللقاء معه بالشرح الأخير قائلا: - ظهورك مع جيفيد في لقائه الأخير، وتلفظك باسم المنظمة الذي رصدته المخابرات الأمريكية؛ جعل حولك علامة استفهام كبرى لديهم، وحتما في الفترة الماضية تمت مراقبتك وتحري شأنك؛ وعلموا بأنك لا ناقة لك ولا جمل، ولولا تعجلك في الانصراف من كولومبيا؛ لكنا صبرنا لأمد أكبر قبل إجراء هذا اللقاء معك؛ حتى تنتفي آخر ذرة شك لديهم حولك، أما الآن فسيكون في الحسبان رصدهم تغيبك الحالي، (جورمان) المساعد الأول لجيفيد يمر الآن على بعض فروع المجموعة الاقتصادية، لو حدث وتمت مساءلتك عن سبب تغيبك الحالي، ستكون حجتك مرافقة جورمان للبحث عن فرصة أخيرة للعمل.

ابتسم عامر وقتها بحبور قائلا:

- هل أعمالكم كلها بهذه الدقة والاحتساب لكل شاردة وواردة قد تقع؟

بمنتهى الهدوء والجدية قال الرجل له جملة ما زالت تدق رأسه كناقوس، فهي تصلح أن تكون منهجا لكل راغب في التميز؛ فقد قال له: - التخطيط الاستراتيجي بعيد المدى؛ درب الناجحين، النظر تحت موطأ القدم والبقاء في خانة رد الفعل مهما كانت قوته؛ سبيل الخاسرين.

- معنى هذا أن موعد التواصل معي وكيفيته محدد بدقة الآن.

- نعم بالفعل، ولكن لن نخبرك بشيء فقد تتعرض لأي من وسائل الاستجواب الوحشية والتي تفلح غالبا في استخراج مكنونك رغما عنك.

رغما عنه ارتعد عامر للمرة الثانية وهو يتوقع تلك الوسائل، ولهذا عندما اختطفته المخابرات الأمريكية، علم لأي مدى يعمل هؤلاء الرجال بمنتهى الحرص والترقب والترصد السليم جدا!

فبعد خروجه من ذلك اللقاء تلقفته المخابرات الأمريكية، لتقوم بتحقيق سريع معه تذهب فيه إلى يقين بعدم معرفته بشيء، ويطلقون سراحه دون تعذيب أو مضايقات كبرى، كان مطلبهم الوحيد مغادرة كولومبيا وعدم العودة لها، حتى الآن لا يدري لماذا؟

فهو إما مشتبه به فلن يتركوه، أو خالٍ من الشبهات، فما الخوف من بقائه أو فعله ما يشاء؟!

ارتجت الطائرة على إثر مرورها بمطب هوائي، فهز رأسه ونظر حوله ليجد أغلب الركاب كلًا ما زال على حاله الذي يشغله ويظنه محور دوران الكوكب، إن لم يكن مصائر الكون كلها تدور في فلكه وحده!

ما زال الخوف من المجهول يعبث بمشاعره، ليس بيده سوى اجترار الماضي ليستشرف منه بعضا مما قد يأتيه في المستقبل القريب.

عندما انتهت مقابلته القصيرة مع رجال المخابرات الأمريكية، سائله الرجل الذي قاد سيارة الأجرة: إلى أين سيذهب، فكان الجواب: إنّه سيستكمل رحلته إلى قصر جيفيد؛ حيث يجب عليه وداع ابنته قبل سفره في الصباح الباكر.

وما زالت نظرات ماريانا تسكن وجدانه حتى الآن!

دخل القصر الذي فتحت له أبوابه بعد انتظار طال لخمس دقائق، خرجت إليه أمام الباب الزجاجي تتهادي بوجه حزين وعيون لائمة، فارقها نزقها وردود أفعالها المرحة الصبيانية والمجنونة غالبا، لم تتقافز كعادتها، لم تسعى لأي احتكاك مباشر كنهجها، وإنما توقفت على بُعد خطوة وبكل هدوء قالت له: - أخيرا ستذهب؟

نال منه صوتها الشجي المحمل بمشاعر حقيقية، إن لم تكن حبا فحتما بها حنين لأيام وذكريات معه تجمعه بأبيها، حاول كبح جماح ملامحه حتى لا تفصح عن حقيقة مشاعره وهو يقول: - لن ينقطع تواصلنا بإذن الله.

هَمَّ أن ينطق ولكن اقتربت منه بهدوء واحتضنته وهو واقف مرتخي الذراعين ولم يحاول الابتعاد عنها أو التفلت منها.

ظلت ساكنة عدة ثوانٍ ثم ابتعدت هنيهة ومدت يدها لتحتضن كفه الأيمن بكلتا يديها، اتسعت عينا عامر لوهلة ولكن نجح في كبحها بسرعة أمام عيني ماريانا

الصارمتين لوهلة أيضا، ولانت ملامحه تماما وهو يقول لها: - لن أنساك أبدا.

وانصرف مسرعا، ليجد السيارة ما زالت بانتظاره، فاستقلها زاعما العودة إلى الفندق.

في حين دخلت ماريانا لتجد جورمان ينتظرها بمنتهى الترقب، فقالت له بعينين تحملان تأثرا حقيقيا:

- لقد منحته الوريقة التي تشرح له ما تريد.

ما زال عامرا يذكر ما كان مكتوبا بتلك الوريقة، فقد خُطت فيها جملة واحدة تقول:

"لا تستخدم شريحة الجوال التي ستصلك في الطائرة قبل مرور شهر"

وبينما كان ينتهي من ختم المغادرة مر بجواره شخص وقال له بصوت خافت:

- بعد إشارتي خذ الشريحة من حمام الطائرة.

لم يحاول عامر تتبعه ولو ببصره، فقط احتفظ بملامحه في خياله، وعندما خرج الرجل من حمامها ووضع يده على كتف عامر، ذهب عامر إلى الحمام مباشرة ليجد الشريحة بسهولة، فوضعها في جيبه وعاد إلى بيته، وبعد شهر وضعها في جواله الذي يسمح بوضع شريحتين، وظل ستة أشهر يترقب اتصالا عليها، وعندما جاءه كان الاتصال قصيرا ولا يحوي سوى جملة واحدة: - يمكنك التحرك الآن.

وقبل أن يرد على المتصل عن كيفية ومكان أو توقيت التحرك المزعوم هذا، أغلق الطرف الآخر الخط، ولكن جاءته رسالة نصية تحمل رابطا لإحدى صفحات الانترنت، قام بفتحه ووجد فيه كافة التفاصيل، وبعد مرور خمس دقائق قامت الصفحة بعمل تحديث تلقائي لتظهر فارغة ولا تحوي شيئا!

وهاهو الآن على وشك الوصول للأراضي الأسبانية بعد زعمه السفر بهدف الحصول على منحة للدراسات العليا فيها.

المفترض الآن أنه أفلت من الرقابة الأمريكية التي يُحتمل وضعه تحتها، وبالتالي يمكنه التحرك بحرية، ولكن كانت التعاليم كلها تندفع نحو السرية المطلقة والحذر الشديد، سينتظره مايكل في تاكسي يحمل أرقاما تنتهي بالعدد ٥٥ فيذهب معه إلى السكن الخاص بجامعة (ألفونسو العاشر)، سيجد غرفته معدة لاستقباله، وفي اليوم التالي سيذهب إلى الدكتور (موريس) ويتم التعامل بينهما كطالب وأستاذه وفقط، حتى تحين اللحظة المناسبة للمكاشفة التامة، والتي ستظل غير معلومة؛ فلينتظرها مهما طالت!

رغما عنه ارتعد عامر للمرة الثانية وهو يترقب مجهولا لا يدري مدى خطورته، وهل سيمكنه العودة مرة أخرى لزوجته وأبيه أم لا؟

حاول النوم ليهرب من جميع مخاوفه، ولكن أبت عيناه وعقله على مطاوعته، فظلت المخاوف تنهش قلبه حتى وصوله واستقلاله سيارة الأجرة برفقة مايكل، الذي لم يتبادل معه الحديث ولو بجملة قصيرة، وأخيرا دخل غرفته البسيطة، والتي لا تحوي سوى سريرٍ صغيرٍ، ومكتبٍ خشبيٍ يعلوه مصباح أنيق، ودولابٍ صغيرٍ بالكاد يكفي ملابسه، ونافذة تطل على حديقة بها تمثال للملك (ألفونسو الثامن) ملك (قشتالة)، الذي انتصر في حروبه على المسلمين قديما، وهو يضع قدمه اليسرى أعلى رأسٍ مقطوعة ذات عمامة عربية!

أغلق النافذة وقد عزم على عدم فتحها مجددا مهما حدث.

رغما عنه اندفعت لمخيلته رحلته السابقة إلى كولومبيا، وتراءت له غرفته الفاخرة في قصر جيفيد بكامل تفاصيلها، وانهمرت المقارنات لتحصد الحسرة بقلبه، وترفع من مستوى مخاوفه إلى ما بعد الذروة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظت (ميرفت) من نومها وهي تتثائب بقوة محاولةً حجب فوهة فمها بكف يدها اليمنى، الآن انتقلت من عالم الأضواء المبهرة، والخيالات اللامحدودة وعوالمها الخاصة، إلى كوكب الظلام!

تحسست بقدمها الجانب الأرضي لسريرها حتى لامست طرف نعلها، وبحركة سريعة تلقائية ارتدته وقدمها الأخرى تبحث عن الرفيق الثاني حتى ولجته.

وبخطوات بطيئة متحسسة غادرت غرفتها، هدأت مشاعرها واطمأن جنانها لسماع سُعال أمها في المطبخ المجاور لغرفتها، وهي تتلمس الحائط بيمناها وصلت إلى المطبخ لتقف ببابه لتلقى التحية على أمها التي احتضنتها وهي تقول لها: - صباحك كله خير ونور وبركة يا حبيبتي، خمس دقائق ويكون الإفطار جاهزا.

- سوف أساعدك بعمل البيض الذي يحبه أبي.

- لم أنته منه بالفعل.

تحسست ميرفت الحائط حتى لامست الثلاجة بموضعها الثابت وأخرجت منها العدد المعتاد من البيض، وعلى السطح الرخامي وضعت الإناء المخصص، وقامت بخفق وإضافة كل المكونات التي يحبها أبوها، وبخفة انتقلت إلى مشاعل الموقد الغازي، تحسست المفاتيح حتى وجدت الثالث مغلقا فتحته مع ضغط زر الصاعق الذي أوقد العين الخاصة به، فوضعت إناء البيض الجاهز

فوقها وهي تقلب المحتوى ببطء حتى شعرت بتماسكه، وأخيرا أطفأت العين وأخذت الإناء فوق السطح الرخامي وهي تتفادى أمها التي تتحرك بجوارها، والتي قالت لها: - الله عليك يا عين أمك، سيكون أشهى إفطار لنا.

رغم نيل كلمة (عين أمك) منها لكنها شعرت بالحبور الشديد لمدحها الجميل هذا.

تناولت إفطارها بشهية مفتوحة تؤججها مشاعر الحب المغدقة عليها من أبيها وأمها.

لم تفوتها صلاة الضحى قبل أن تغلق باب حجرتها وتفتح حاسوبها، وبدأت بالبرنامج الناطق المخصص لفاقدي نعمة البصر، ليساعدها في فتح بريدها الإلكتروني، لتجد ملفا جديدا يجب عليها التدقيق اللغوي له في مدة وجيزة لا تتناسب مع حجمه الكبير، ولكن على النقيض أشعل هذا حماسها، فما زالت على نهجها الذي تربت عليه والذي أججه بداخلها أبوها منذ صغرها؛ الحياة كلها تحديات تتفاوت درجاتها، والقوي من يصطفيه الله لصراع يفوق عوام البشر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المنطقة (٥١) في جنوب صحراء نيفادا الأمريكية، قاعدة عسكرية تحوي مطارا سريا هدفه المعلن هو تطوير صناعة الطائرات الحربية، ولكن تردد اسمها واشتهر في الاعلام والسينما بأنها تحوي أسرارا فضائية لا حصر لها، فبها بقايا أو عددا من الأطباق الطائرة، وجثثا أو ربما رهائن حية للكائنات الفضائية، وكذلك تكنولوجيا فضائية أو قطعا منها!

تظهر هذه القاعدة على خرائط جوجل بتصوير القمر الصناعي بلا أي محاولات تمويه إلكتروني هم قادرون عليها، مما يجعل الباحث يظن بأن هذه ترهات أو شائعات حتما يتعمد الأمريكان تقويتها!بينما يحتار العالم في حقيقة هذه القاعدة؛ إلا أن الحكمة الفلسفية الثابتة أنه لا دخان بلا نار!

بدأت شهرة هذه القاعدة منذ خمسينات القرن السالف، بعد تسريب هام جدا من حيث لا يتوقعون، وبعدها واتباعا للقاعدة المخابراتية الشهيرة (إذا أردت أن تنزع من العامة الثقة في خبر هام، أغرقهم بأخبار كثيرة مشابهة من المؤكد كذبها، وأظهر لهم البينة على هذا الكذب، فيتوه الخبر الحقيقي وسط كل هذا الفيض من الأكاذيب!) انهمرت على السينما الكثير من الأعمال التي تؤكد أنها منطقة سرية تحوي من الغموض والأسرار الكونية ما تحوي.

وأصبح الخبر اليقين محل شك وتفنن الكثير في إثبات أن كل ما يتردد عن هذه المنطقة ما هو إلا أساطير كاذبة ترعاها الحكومة الأمريكية!

وهناك في منزل ساحلي يخلو من جميع وسائل التكنولوجيا الحديثة، وأمام تلفاز عتيق جلس (روبرت) بشعره الأشيب تماما، وملامحه المتغضنة بكثير من التجعدات، وبشرته الحمراء المميزة، جلس يشاهد إحدى جولات الاستعداد لانتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة، كان الرئيس الحالي اليميني شديد التطرف، يتحدث بحماسة شديدة وهو يلوح بيده عاليا وترتفع الصيحات على إثرها، وأخذت الأعلام الأمريكية الصغيرة والكثير من اللافتات تتمايل يمينا ويسارا؛ لتثير جوا شديد الحماسة بالقاعة ليتناقلها التلفاز للعالم أجمع، وأنهي خطابة بثقة تامة لا مراء فيها؛ أنه حتما من الفائزين في هذه الجولة، بعد استعراضه لنجاحه في فترته الأولى، الذي لمسه المواطن العادي بعد سلبه لكثير من ثروات البلدان المتخلفة؛ لتحسين أوضاع المعيشة الأمريكية الداخلية، حتى وإن دعم كل التشريعات المناوئة للحريات، والمثيرة للنعرات العصبية والصراع الأيدولوجي بين الطوائف الدينية!

يدرك روبرت أن الإعلام الأمريكي له بعيد الأثر في القرارات المصيرية منذ أمد.

هز رأسه بأسى وقد أدرك بأن نجم هذا الرئيس الأحمق يعلو كل يوم عن السابق!

ومن المعروف أن نتائج الانتخابات الأمريكية لا تتوقف آثارها على الشعب الأمريكي وفقط، وإنما تطول جميع أطراف العالم؛ خاصة المناطق المشتعلة منه.

فأذرع المخابرات الأمريكية هي المحرك الرئيسي لاتخاذ القرار بجميع مناطق النفوذ الأمريكي، والتي توسعت بكثافة مؤخرا؛ إما باحتلال عسكري صريح، أو شبه احتلال بزرع قواعد وأساطيل هنا وهناك، وربما احتلال مقنع بالسيطرة على الزعماء أبناء تلك البلاد؛ أيا كانت هذه السيطرة، فتارة صريحة بامتلاك ما يمحوه وتهديده به، أو أخرى بزرع الهزيمة النفسية والخوف الشديد من البطش الأمريكي، وأن صالحه وبلاده من بعده تنبع من تفادي الصراع أو مخالفة السياسة الأمريكية بهذه البقعة.

قام روبرت يتهادى وهو يشعر بمرارة في حلقه؛ ليقينه أن السياسة الأمريكية ستظل على حمقها لأمد بعيد طالما يتزعمها مثل هؤلاء، ومن دروس تاريخ الأمم السابقة الطويلة؛ هذا ما يعجل بالانهيار القريب لحضارة يراها الأعظم في التاريخ على الإطلاق رغم قصر عمرها!

فتح خزانة ملابسه وأخرج من قاعها صندوقا خشبيا صغيرا، نظر نحوه بحنين عجيب، فتحه ليلمع في وجهه ضوء أزرق أغشى بصره لثوان، وما إن اعتادت عيناه عليه؛ حتى تطلع بشغف لمصدر هذا الضوء الأزرق، وانطلقت ذاكرته

إلى اليوم الذي كان فاصلا في حياته كلها، وقد يكون فاصلا في تاريخ العالم أجمع.

كان روبرت عام ١٩٥٤ من الفنيين العاملين بمنطقة (٥١) شديدة السرية، تخصصه الدقيق هو صيانة المحركات، وكان يومه يمر كالمعتاد بواجبات فنية يؤديها مع رفاقه بمنتهى الكفاءة بالمتابعة الدورية لمحركات سرب الطائرات الخاص بهذه القاعدة، وصيانة ما يحتاج للصيانة منها.

حتى جاء ذلك اليوم العجيب، فجأة أرعدت السماء وانتشر بها البرق وغطى القاعدةَ سحابةٌ سوداءٌ عجيبة؛ لم ير لها مثيلا من قبل، تحوّل وقت الظهيرة إلى ظلام شبه تام كأنما تحولت الساعة الثانية عشرة إلى منتصف الليل في لمح البصر!

انتشر الخوف في الصدور بشكل تلقائي وجماعي عجيب، ولم يستطع أحدهم الخروج من مبنى الصيانة ليشهد تفاصيل أكثر من الواردة إليهم عبر النوافذ، روبرت وحده الذي خرج ليقف أمام المبنى وخلع قبعته وهو ينظر لأعلى ليلمح بين الكثبان السوداء في السماء، وعلى ضوء برق لم يدم أكثر من ثانيتين، لمح تلك الطائرة التي تصارع السقوط بيأس كبير، رفع جهاز اللاسلكي ليبلغ عنها، ولكن لم يسمع بالجهاز سوى صوت تشويش عجيب، فتابع الطائرة التي اندفعت نحو مدرج الهبوط الجنوبي، وبدافع لا إرادي أخذ يجري مسرعا نحوه في أمل أن يمد يد المساعدة أيا كانت.

وبالفعل وصل إلى موقع هبوط الطائرة التي تحطم ذيلها تماما، واعتلاها الدخان الأسود الكثيف، وخلف مقود الطائرة كان الطيار يتهاوى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولعلمه بميكانيكية فتح كابينة القيادة من الخارج، كان في ثوانٍ قد نجح في استخراج الطيار وفحص علاماته الحيوية بسرعة تمرس عليها في دروس الإسعافات الأولية، ولمح بيد الطيار اليمنى جسمًا معدنيًا دائريًا مليئًا بثقوب يخرج منها ضوء أزرق مبهر لا يتناسب أبدا مع صغر الثقوب الخارج منها، وسمع كلمات طفيفة من فم الطيار يتمتم بها بخفوت وهو يقول له: - تخلص منها ولا تسلمها لمخلوق مهما كانت سلطته.

بشكل تلقائي وضعها روبرت في جيب معطفه الكبير، واستمر في محاولة تطبيب الطيار الذي فاضت روحه وانقطعت أنفاسه، ولم تُفلح معه محاولات الإنعاش التي استمر فيها روبرت، حتى ظهرت سيارة جيب عسكرية حملت الطيار وحده واندفعت دون أن تلقي لروبرت بالًا كأنما هو غير مرئيٍ لهم تماما!

كان من الطبيعي أن يستخرج ذلك الجسم الغريب ليطالعه أو يفحصه، ولكن لسبب مجهول؛ ربما نبرة الرعب التي كست كلمات الطيار الأخيرة دفعته لأن

يحافظ على إخفائه، عندما عاد إلى مبنى الصيانة كانت بانتظاره سيارات مجهزة لإعادة الجميع إلى منازلهم لعدم مناسبة الأحوال الجوية للعمل الآن!

وعلى غير العادة تم إخراج الجميع بسرعة عجيبة، حتى أنهم تجاهلوا التعليمات الأمنية المتبعة مع الخارجين من القاعدة بصرامة كبيرة، فخرج بكنزه العجيب دون أن يراه مخلوق أو يدرك بأنه معه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الصدفة العجيبة هي صاحبة اليد العليا في كل شيء، فقد تعطلت السيارة قبل وصولها لمحطتها الأخيرة، وكان أقرب المنازل لهذه النقطة هو منزل أحد زملاء روبرت المقربين، والذي دعاه لتناول شراب، واستجاب روبرت لهذه الدعوة التي امتدت لساعات، وخرج منها يتمايل على إثر السُكر بعد تجرعه لكثير من خموره المفضلة، ولهذا كان من المنطقي أن ينسى تماما معطفه بما يحويه!

وفي غرفته المظلمة وبينما هو مستغرق في أعمق درجات النوم الخالي من الأحلام استيقظ وهو يهتز بعنف، وعندما فتح عينيه شعر بأن الخمر قد تجاوزت المدى معه هذه المرة، فقد كانت هناك فوهات مدافع رشاشة موجهة إليه!

وقبل أن يدرك حقيقة الموقف، تم حمله عنوة واقتياده إلى سيارة عسكرية انطلقت به مسرعة إلى سراديب المنطقة (٥٣)!

وظل التحقيق معه خمسة أيام عما فعل ورأى من حادث الطائرة، تجمّع عنف استدعائه مع حقارة طرق استجوابه، يتوجها لتحذير الطيار له بضرورة إخفاء ذلك الجسم الغريب؛ كل ذلك دفع في عروقه الرغبة القوية في إخفاء معرفته التامة بهذا الجسم، وذلك حتى عودته إليه ومعرفة قيمته التي استوجبت كل هذا الغموض والعنف!

وبعد خروج المحققين بنتيجة أنه لم يصل لشيء، وأنه فقط لِحَظِه العاثر ظهر في المكان الخطأ بالتوقيت الخاطيء، وبعد الوصول لهذه النتيجة تم الاعتذار له وتبيان أن هذه الطائرة تتبع القاعدة العسكرية بالمنطقة (٥٣) المختصة بتطوير أجهزة التجسس الجوي، وأن هذا الحادث لا يدرون إن كان مدبرا أم لا، ولظهوره وحده بجوار الطائرة كان من الواجب عليهم نفي أي شبهة قد تطوله، وقد تم بالفعل!

عاد روبرت لقاعدته بالمنطقة (٥١) طالبا إجازة طويلة رغبة منه في نسيان ما مر به، وتمت الموافقة السريعة عليها، تناول معطفه وحمل حقيبته وانطلق

لأبعد مدى يعرفه، وهناك استخرج الجسم المعدني الغريب، والذي يحمل أسرارا عجيبة لم تخطر له على بال!

بعد شهر نشرت صحيفة متوسطة الانتشار تحقيقا عن طائرة سقطت فوق المنطقة ٥١ وبها تكنولوجيا فضائية مدهشة لم يسمع عنها مخلوق من قبل!

وبدلا من نفي الخبر، انطلقت أكثر من صحيفة كبيرة لتنشر أخبارا عن أطباق طائرة يؤكد الكثير من السكان رؤيتها، وأن المنطقة ٥١ هي منطقة غامضة مخصصة لكل الأسرار الفضائية التي تملكها الحكومة الأمريكية، ونَسِيَ الجميع حتى يومنا هذا الرقم الصحيح للمنطقة التي قد يكون بها كل ما تكهن به الكثيرون في هذا الشأن؛ المنطقة ٥٣!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

التقى عامر الدكتور موريس في مكتبه العتيق والذي يفوح بكل روائح العمارة العربية القديمة، ذلك الرجل الأشهب هاديء الملامح؛ والتي بكثير من التمعن فيها ستجد أنها حتما تنتمي لأصل عربي، كان الرجل شديد الهدوء في كلامه وحركاته، عيناه رغم كثرة التجاعيد حولها إلا أنهما لامعتان دائما ويلوح منهما ذكاء متقد يفوق المظهر البسيط للرجل.

- هل تعلم بأن ٢٥٪ من أصل الكلمات الأسبانية والبرتغالية يعود في جذورها لكلمات عربية؟

ابتسم عامر وقال:

بالفعل أعلم ذلك؛ مثل كلمة سكر وأرز هما نفسهما تقريبا في اللغتين تنطقان أسوكار و أوروز، ولكن مع شعور يدعو للفخر والأسى في الوقت نفسه.

تجاهل الرجل عبارته وقال له:

- أريد منك اختيار موضوع لرسالة الماجستير الخاصة بك؛ موضوعٍ يبتعد عن الجدل أو صراع الحضارات.

- لقد اخترته بالفعل.

- زاد التماع عيني الرجل وابتسم في حبور وقال:

- وما هو؟

- اختلاف الأبواق الصوتية للغة الأسبانية بين بلدين؛ إسبانيا وكولومبيا.

ضحك الرجل بقوة وقال:

- يبدو أن هناك توافقا فكريا بينكما!

نظر عامر نحوه بدهشة وهز رأسه في تساؤل دون أن ينطق، فاستطرد الرجل وقال:

- هناك من اختار هذا الموضوع منذ أسبوع.

اتسعت عينا عامر وقال:

- ولكن كيف، لقد بذلت جهدا لاختيار هذا الموضوع، وكنت على ثقة تامة بأنه حتما لن يرد بذهن آخرين!

- هذا ما يدفعني لجمعكما سويا فور الوصول من السفر على كوب من الشاي.

من بين شعوره بالاحباط والخواء، لوح عامر بيده وقال:

- لا مانع من ذلك.

ولم يكن عامر يدرك بأن حياته على مفترق طرق عجيب بسبب موضوع هذه الرسالة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما إن خرجت ميرفت من باب شقتهم حتى شعرت بانتقالها من عالم لآخر يختلف كليا عما كانت فيه، فجأة من منتهى الهدوء والصمت والاطمئنان، اقتحمت أذنها كل الأصوات الدالة على صراعات البشر، والتي حتما ستكون على أشدها في تلك المنطقة شديدة الشعبية ذات السمعة الخاصة؛ إنها منشية ناصر!

تذكرت عندما قرأت رأيا نقديا عن أحد الأفلام الأمريكية الأيقونية للكاتب العبقري (تارانتينو) في فيلم كلاب المستودع، كانت هناك نقطة إخراجية ربما لم يلحظها البعض؛ العجيب أنها تشابه حالها تماما!

المشاهد داخل المستودع كانت تامة الصمت والهدوء بدون حتى موسيقى تصويرية، وفور خروج التصوير من الباب، يبدأ الضجيج، مما يوحي بأن هناك عالمين مختلفين، يقال بأنها الانتقال من حالة الحوار الداخلي إلى الصراع المجتمعى!

ولكن معها الآن الصراع المجتمعي والمكون لكل أنواع الضجيج الخارج عن المعقول ستكافح حتى تهرب منه، الكثير من السباب مع عزف مقطوعات متنوعة بالأصوات الخيشومية!

ما إن خرجت من باب العمارة الصغيرة التي تقيم بالطابق الثاني منها، حتى سمعت صوته الأجش المصحوب بنغمة مطاطية مكتسبة بآثار الكثير من الأقراص المخدرة، قال لها جملته الخالدة: - يا صباح النور يا أستاذة.

- صباح الخير يا (غزة).

- هاوصلك ولا هتعملي الحبتين عليا؟!

- طيب يا (غزة) علشان خاطر اسمك اللي عزيز عليا.

- اسمي بس؟

- سبحان الله (غزة) التانية غير الغزة بتاعتك، مش هتبطل تغز الناس بقى وتتقي الله.

كانا يسيران الهوينى وكأنهما صديقين حميمين، ميرفت تحفظ معالم الطريق، وهي ترى كل التفاصيل بأذنها الذكية، و (غزة) بتعاطف فطري معاها يرافقها كي لا تتعرض لأي أذى من أي نوع، حتى تصل إلى موقف السيارات في رحلتها الشهيرة بمطلع كل شهر، وعندما وصلا إلى الموقف فتح لها الباب الأمامي وهو يهتف بنفس لهجته القوية الآمرة المعتادة قائلا: - والاا يا سيكا، الأستاذة المزة توصلها لحد الباب، ومحدش يركب جنبها وتاخد أجرة نفر واحد.

رغم سعادتها باللقب الذي أطلقه عليها لكنها قالت له بلوم:

- (غزة)!!.. وبعدين معاك.

- خلاص يا أبلة توصلي بالسلامة.

انقاد الصبي المسئول عن تنسيق عملية الركوب لما أملاه عليه (غزة)، وكذلك السائق الذي رحب بميرفت وهو يشعل الموتور الذي أخيرا استجاب له في المحاولة الثالثة، قائلا لها: - كل عام وأنتِ بخير يا أستاذة.

بصوتها الخافت قالت:

- وأنتَ بخير يا حمودة.

- هل ستنتهين بسرعة كي أترك لك المقعد فارغا أثناء عودتي لتركبي معي؟

تنهدت بحرارة وقالت:

- لا أدري غالبا قد أغيب، شكرا يا حمودة سوف ييسرها الله لا تقلق.

مد حمودة يده نحو مسجل السيارة ليفتح سيلا من الأغاني المزعجة، ولكن نظر نحو ميرفت وقد تذكر تذمرها الدائم، فتوجهت نحو الراديو لإذاعة القرآن الكريم بدلا من ذلك وهو يقول لها: - ذلك لأجلك فقط والله يا أستاذة.

ابتسمت وهي تشعر بالحبور قائلة:

- سوف ترزق البركة اليوم بإذن الله.

ظلت تتجاذب معه أطراف الأحاديث المعتادة، وأخيرا توقف أمام البوابة الكبيرة والأنيقة والفخمة بشكل مبالغ فيه، هَمَّ أحدُ حراسها أن يزجره، ولكن عند رؤيته لميرفت توقف وهو يرحب بها بكلمات مقتضبة، وتنحى جانبا لها لعلمه التام برفضها لأي مساعدة؛ وقد رأى بنفسه قبلا كيف أنها لا حاجة لها بالفعل.

ولجت ميرفت إلى قاعة الاستقبال متناهية الاتساع والأناقة لتلك الشركة الاستثمارية الكبرى الشهيرة؛ والتي لا تكف إعلاناتها في التلفاز يوما واحدا!

سمعت صوت إحدى موظفات الاستقبال فتوجهت نحوها قائلة مبتسمة:

- السلام عليكم، كيف حالك أستاذة مروة؟

مدت مروة يدها لدرج جانبي أخرجت منه مظروفا عليه اسم ميرفت الثلاثي، وأعطته لها وهي تقول لها:

- أهلا ميرفت، كل شهر وأنت طيبة.

وضعت ميرفت المظروف بحقيبتها وهي تقول لها باهتمام:

- هل يمكنني طلب خدمة كبرى منك أستاذة مروة.

بابتسامة اعتادت عليها ولم يكن لها داع قالت مروة:

- بالطبع تفضلي.

- أريد مقابلة المهندس محمد لأمر هام جدا جدا.

ترددت مروة وقالت وهي تحاول مراعاة كل حرف يخرج منها:

- لا أدري هل يمكن ذلك أم لا، سوف أتصل بسكرتيرة مكتبه لأرى إمكانية لك.

ابتسمت ميرفت ممتنة ووقفت منتظرة اتصالها الذي أنهته مروة لتقول لها:

- للأسف عنده اجتماع سيمتد حتى الساعة الواحدة.

- لا مانع عندي من الانتظار حتى الواحدة.

وبعد قليل من الاتصالات جلست ميرفت على أحد المقاعد الوثيرة في أقصى جانب بساحة الانتظار، وهي تحتسي كوب الشاي الذي طلبته لها مروة، ومع البرنامج المخصص لمساعدتها في القراءة على جوالها انقضى الوقت مسرعا مع التهامها لأكثر من نصف أحد الكتب الهامة، وأخيرا عند الواحدة والنصف كانت على مقعد آخر وثير أمام المهندس محمد أحد رؤساء الأقسام الكبرى بالشركة، والذي قام بالتوقيع على قرار تعيينها ضمن النسبة المخصصة لكل شركة من ذوي العجز حسب قانون التأمينات، وذلك براتب رمزي هزيل!

سألها باهتمام قائلا:

- خيرا يا ميرفت، هل هناك أي عقبات تواجهك؟ قلت لك من قبل يمكننا إرسال الراتب إلى البيت.

تنحنحت ميرفت وقالت بهدوء:

- والله حتى الآن ما زلت أتشكك في مشروعية هذا الراتب الذي لا أعمل به، مجرد وظيفة صورية أنتم تقبلون بها لاستكمال نسبة الـ ٥٪، وأنا أقبل بها لانعدام فرصي الأخرى.

- يا ميرفت العقد شريعة المتعاقدين، أنت وافقت على العمل عندنا، ونحن وافقنا على أن مجرد استنارة دفاترنا باسمك يستحق الراتب الصوري أيضا الذي تأخذينه.

- عندي اقتراح ينزع مني شعور أن هذا الراتب ليس سوى صدقة منكم.

باهتمام شديد سألها المهندس محمد قائلا:

- ما هو؟

- والله عندي قدرات كثيرة، أنا في المنزل أعمل على الحاسوب جيدا، وأقوم بالتدقيق اللغوي لأعمال أدبية كثيرة منشورة.

تصنّع محمد الدهشة وهو يقول بصوت يفوح بها:

- رائع جدا ما شاء الله.

زادها رده حماسا فقالت:

- حتما عندكم مكان يمكنني العمل فيه عملا حقيقيا، وأعدك بالتميز فيه، ضعنى فترة اختبار إن لم تجد ذلك؛ لك حق فصلي تماما من الشركة.

بصوت متردد متعاطف نال من ميرفت قال:

- حسنا دعيني أفكر في ذلك وسوف أرد عليك قريبا.

أدركت ميرفت انتهاء المحادثة وعدم جدوى استمرار الاستجداء، فتلك جملة قاصمة إذا سمعتها يوما في أي مقابلة توظيف علمت بأن هذا القريب لن يأتي أبدا.

ابتسمت بمرارة وقالت:

- شكرا جزيلا لحضرتك على موافقتك لمقابلتي والحديث معي رغم أعمالك الغزيرة.

وبعد الكثير من كلمات المجاملة التي تدرك أنها تعاطفا معها خرجت إلى رحلة العودة لمنزلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على الساحل الكولومبي بامتداده اللانهائي، والمطل على زُرقة المحيط التي تطول الأفق، ومع نسماته التي تعانق الروح بلطف منعش، وقف القائد الأسباني بأعلى مكان على السفينة التي ترسي باطمئنان إلى الحوض المعد لها، وعلى جسرين خشبيين يمتدان إلى داخلها وليس أعلاها؛ أخذت الصناديق الخشبية التي يحملها الرجال في التخزين بمواضعها المعدة لها بالغرف الداخلية والسفلية بانتظام اعتادوا عليه.

بينما كان الرجال ينتزعون أنفاسهم بصعوبة على إثر الجهد الكبير والدائم منذ ساعات طوال بلا أي فواصل للراحة، وبقروش شحيحة بالكاد تكفي سد رمق صغارهم الجياع!

وبمرارة تلتهم الحلوق لم يخطر ببال أحدهم التمرد أو إعلان أي وسيلة لرفض الظلم البين الواقع عليهم، فبينما تمتليء هذه الصناديق الخشبية بأطنان من الذهب المنهوب من أرضهم، لا ينالون حتى الأجر الذي يتناسب مع الجهد أو طبيعة المهمة التي يقومون بها، بل هو الاستعباد المقنع لهم بقوة السلاح.

وأخيرا ارتضت السفينة الضخمة بحمولتها، وأطلق بوقها الضخم صوتا فخورا ليعلن لسامعيه انتصار مالكيه في الفوز بغنيمة جديدة منطلقة إلى التاج الأسباني!

وتحركت بمهل والدخان ينطلق منها منسابا إلى الخلف نحو الشاطيء كأنما هو دموع ضحايا هذا العهد الأسود بعمر القارة اللاتينية.

كان الوقت هو الظهيرة، وعندما ابتعدت السفينة لتصبح أثرا صغيرا يظهر بالكاد للرائي على الشاطيء، كانت الأعمال المعتادة على ظهرها وفي باطنها تتم بيسر وتلقائية، وبينما القادة في غرفهم يرتشفون كئوس النصر المعبئة بأجود أنواع الخمر، كان في غرف صناديق الذهب من يعملون بدأب وصبر، وكانت مهمتهم أعجب ما يكون، فلم تكن الصناديق ملاصقة لجدار السفينة،

وإنما يوجد فراغ يسع بالكاد رجلا يتحرك بجانبه بصعوبة، ومن خلال هذا الفراغ ورغم صعوبة الحركة أو العمل فيه، وبكل أناة وحذر، سعى الرجال لصنع فتحة كبيرة بجدار السفينة، فتحة تسمح بمرور صندوق منها، ثلاث فتحات على جانبي السفينة دون أن يلحظ مخلوق ما حدث، وبهدوء جلس الرجال بمواضعهم ينتظرون سدول الليل، وعندما ألقى عليهم جدائله؛ تعاونوا بمنتهى الهمة والنشاط في إلقاء الصناديق عبر تلك الفتحات التي بذلوا فيها الجهد نهارا، وعلى بعد عدة كيلومترات كانت هناك سفينة صغيرة لا يظهر لها أي أثر في عتمة الليل، كانت تتبع السفينة الأسبانية الكبرى والتي تختال بأضوائها الكثيرة بكل موضع فيها، وعندما ظهرت لها صناديق الذهب الملقاة والتي تصطف خلف مسار سفينة الخاطفين، بدأ الرجال في جمعها وتخزينها بمنتهى الجلد والصبر إلى داخل السفينة المتسللة هذه.

كادت العملية أن تتم بمنتهى النجاح ولكن فجأة ارتجت الأجواء بدوي مدفع قوي، وإذا بقذيفة ملتهبة تنطلق نحوهم معلنة اكتشاف العملية!

وإذا بالليل في هذه المنطقة يشتعل ليصبح كالظهيرة على إثر القذائف التي تبادلت بين الطرفين، وبعد ساعات طوال من المعارك بعضها على سطح سفينة الخاطفين؛ قادها المتمردون الذين قاموا بصنع الفتحات وإلقاء الصناديق، وبين القتال المتبادل بين السفينتين، وبعد مرور تلك الساعات كانت سفينة الخاطفين تشق طريقها نحو القاع بعد تفنن الرجال عليها بإلحاق أضرار جسيمة بها من الداخل، والتي تكاتفت مع أضرار القذائف الغاضبة التي نالت منها.

وأخيرا عادت السفينة الصغيرة وقد فازت بغنيمة كبرى من الكنوز المنهوبة، وكان الفوز الأعظم لقادتها هو غرق القراصنة الأسبان؛ ليفقد تاجهم أحد أهم أذرعه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد تأسيس منظمة اليد الواحدة بهدفها الاستراتيجي العالمي والكبير؛ تم اختيار الفارس العربي المؤسس ليكون أول زعيم لها، كان قد بلغ من العمر أرذله، ولكن كان قلبه وعقله ما زالا شابين يحملان أحلاما ومشاعر فائقة، ولهذا جلس ووضع الخطة الأولى التي يجب تنفيذها والفوز فيها بجولات ولو مبتعدة، المهم أن يتم استنزاف العدو، وجَعْل مهمته صعبة مليئة بالشوك، فقد وضع خططا بحرية لمحاولة الاستيلاء على السفن المحملة بالذهب أو إغراقها إن لم تنجح مهمة الظفر بما فيها.

لن تكون سرقة ولا قرصنة كما يشيع مجرمي الاحتلال، بل هي محاولة استرداد بعضا من الحقوق؛ لتقوية أبناء الأرض.

وتم تشكيل الرجال المكلفين بهذه المهمة التي نجحوا فيها لأبعد مدى، لدرجة جعلت من يستقل هذه السفن قبيل إبحارها يكتب رسائل وداعه قبل أن يخوض عباب المحيط!

ولكن وكما استعد هو ورجاله بما أوتوا من قوة، بدأ المحتل اللص كذلك في تقوية دفاعاته وتحصين سفنه بأقوى ما يستطيع، وبدأت عمليات استرداد الحقوق في التراجع، وتناقص الرجال قتلا وأسرا، ومع وقوع الكثير منهم في الأسر، بدأ الخطر الكبير في اكتشاف ماهية التهديد الحقيقي الذي يحيق بالمحتل الأسباني، فالأمر ليس مجرد السطو على سفنه وذهبه المزعوم؛ بل هدف إضعافه بخطة طويلة المدى وهو ما يهدد ببقائه، ويذهب بخططه أدراج الرياح!

وبدأت رحلة البحث عن ذلك التشكيل العصابي الذي يخطط، ويمول، ويدفع برجاله لمطاردة السفن وما عليها من غنائم.

ولأن الزعيم العربي كان من أهم تعالميه أن تكون المعرفة على قدر الحاجة، فقد توقف الأمر حتى القيادة الوسطى، ولم يصل المحتل الأسباني في استجواباته الجحيمية لأبعد من ذلك، ولم ينل من المعلومات أكثر من أن هناك منظمة تدعى اليد الواحدة تتربص بسفنه وفقط.

وهنا قرر الفارس العربي أن تتوقف حملات الهجوم على هذه السفن وإعادة تشكيل الخطوط الأمامية حتى القيادة الوسطى بشكل جديد، والبحث عن وسائل جديدة وفعالة يتم بها النيل من العدو الغاصب الوحشي هذا.

وهنا جاءته الهدية التي لم يحلم أو تخطر بباله مهما أغرق في الخيال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بينما كان الفارس العربي في جلسته الخاصة بين مستشاريه يدرس معهم الجبهات الجديدة التي يمكن تشكيل فصائل لمهاجمتها، جاءه أحد الرجال وطلب أن يُسْر إليه بأمر، بعينين هادئتين ساءله الفارس: - هل يحتمل الأمر التأجيل؟

- يقول الرجل أن لا!

- حسنا أدخله.

ونظر الفارس نحو مستشاريه قائلا:

- هناك رجل غريب يطلب سرعة مقابلتي ولا أدري لماذا؟

جمع الرجال صحفهم وقاموا واقفين وقال أحدهم:

- يمكننا الاستكمال في وقت لاحق.

أشار الفارس لهما ليعودا إلى مجلسيهما قائلا:

- فلنرى أولا هل لديه ما يستحق فض مجلسنا أم لا.

عاد الرجال إلى مواقعهم في لحظة دخول الغريب إلى المجلس، كان يرتدى زيا قديما شديد الاهتراء، ولكن يملك جسدا قويا من الواضح اعتياده على المعاناة والصبر والجلد!

التقطت عينا الفارس كل تلك القراءات فوضعها في ميزان تقدير ما سيتفوه به هذا الرجل، والذي وقف ينظر نحو الجالسين ولم يفه بحرف، فهم الفارس وكذلك الرجال بأن الرجل يبغي التفرد، همّوا بالقيام للانصراف، ولكن أشار لهم الفارس بأن يمكثوا كما كانوا، وقال للرجل: - يمكنك التحدث أمامهم.

هز الرجل رأسه نفيا وقال بصوت خافت وهاديء:

- لا يمكنني ذلك.

هم الفارس بالرد عليه، ولكن قام الرجال هذه المرة، وقال أحدهم بحسم:

- نلتمس منك المعذرة يجب أن نذهب الآن.

لم يشأ الفارس أن يدخل في جدل فهز رأسه بالموافقة، وبعد خلو القاعة إلا منه ومن الغريب الذي يحمل ملامح أصحاب البلد الأصليين، تنهد وساءله عما يريد، اقترب الرجل منه، فتحفز الفارس مخافة أن تكون محاولة للنيل منه، ولكن جلس الرجل بين يديه، وقال له بمنتهى الخفوت: - جئتك بأقدس أسرارنا، فبعد متابعة دقيقة لكل ما فعلت وتفعل؛ أنت الأجدر الآن بحمل هذا السر.

شعر الفارس بأهمية ما يتحدث الرجل عنه فقال له:

- عن أي سر تتحدث؟

دس الرجل يده ليخرج من ثنايا ملابسه الثقيلة لفافة كبيرة من الخيش ومد يده بها إلى الفارس وهو يقول:

- إنه سر السماء المقدس، بيضة الشيطان، والتي صارت جمرة الزمان!

فض الفارس اللفافة لتلمع في وجهه الأضواء الزرقاء العجيبة المنبعثة منها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفت سيارة الميكروباص المتهالكة أمام الشركة العالمية الفخمة بكل تفاصيلها، وعندما اقترب منها أحد الحراس وهو يهتف بالسائق أن هذا ليس

موضعا للتوقف، ارتفع صوت (عايدة) من أحد المقاعد الخلفية قائلا: - آسفة يا أستاذ، أنا كفيفة وفي حاجة لدخول الشركة، هل يمكنك مساعدتي والأخذ بيدي؟

لانت ملامح الحارس في ضجر، وأخذ بكفها وجميع من في السيارة يساعدها حتى هبطت، لتتوقف بجوار السيارة وهي تفتح حقيبتها وتسأل السائق قائلة: - كم أجرتك؟

أشار أحد الجالسين بالخلف في صمت للسائق إلى نيته الدفع لها، فقال لها السائق:

- لا عليك يا أستاذة لا داعي لها.

ابتسمت في امتنان وانصرفت مباشرة، وسألت الحارس أن يساعدها ويصحبها إلى الداخل قائلة له:

- آسفة إن كنت سأعطلك.

- لا عليك، ولكنك لا تأتين كثيرا، ماذا حدث ودفعك للمجيء هذه المرة؟

- راتبي الذي لا يكاد يكفي شيئا - وأبي توفاه الله - وأنتظره باليوم والساعة لم يأتني هذا الشهر، وعند اتصالي بالشئون الإدارية طلب مني صورة بطاقة لعمل بطاقة إلكترونية لصرف الراتب بها مستقبلا.

ورغم الراتب الذي بالكاد يكفي الحارس وأسرته الصغيرة، أخرج من جيبه مبلغا بسيطا يتناسب مع مقدرته ودسه بكفها وهو يقول: - نحن إخوة تقبلي هذه مني حتى تحصلين على راتبك.

حاولت صد يده بوهن وهي تقول:

- بارك الله فيك، وأسعدك في الدنيا والآخرة.

ودست الورقة النقدية التي لا تدري قيمتها بحقيبتها بسرعة، وأخيرا كانت أمام موظفة الاستقبال مروة لتخبرها بمعضلتها وتطلب المساعدة لتوصيلها إلى الموظف المختص.

اتصلت مروة بأحد عاملي إعداد القهوة ليأتي لمصاحبتها، وقالت لها:

- دقائق وسوف يأتي محمد من (البوفيه) ليصحبك إلى الشئون الإدارية.

رفعت عايدة حاجبيها وقالت:

- بوفيه! هل تصرفون إفطارا للموظفين؟

لانت ملامح مروة وقالت:

- هل تريدين الإفطار؟

قالت مازحة:

- لو هذا ممكن، ألست موظفة مثلكم على الورق.

- ماذا تريدين؟

- ماذا يمكنني طلبه؟

- أي شيء تحلمين به.

ابتلعت عايدة ريقها وقالت:

- هل مسموح باللحوم في الإفطار.

- مسموح بكل شيء.

- نفسي تشتهي جدا لما يسمى بالبرجر والشاورما، أسمع عنها فقط.

- محمد وصل الآن، بعد انتهاؤك سوف تجدين كل ما تطلبين عندي.

- أليس ذلك في البوفيه؟

- سوف أطلبها أنا بتوصية كبيرة كي تنال إعجابك.

ابتسمت عايدة بامتنان شديد وشكرتها وانصرفت، واتصلت مروة مباشرة بأحد مطاعم الوجبات السريعة وطلبت لها وجبتين كبيرتين إحداهما للإفطار، وأخرى لتصحبها معها للغداء، وما إن انتهت حتى هتفت بها زميلتها قائلة: - هل ستظلين بهذه الطيبة والسذاجة دائما؟

حاولت مروة قطع الطريق عليها قائلة:

- نعم.

ولكن أصرت زميلتها على الاستمرار قائلة:

- ألا تستشعرين في كلامها بوضوح أنها تستهبل؟! قارني بينها وبين زميلتها الأخرى التى رفضت حتى أن تقبل بقلم بسيط كهدية!

اعتدلت مروة وتنهدت بعمق وقالت:

- أكرمك الله عز وجل بنعمة كبرى لن تستشعرين أبدا كيف سيكون حالك بدونها، شكر هذه النعمة أبسطه أن نساعد تلك المنكوبة بفقدها، حتى لو كانت تستهبل فهي حيلة منها لتحصل على تعويض بسيط لشيء حُرمت منه،

حتى لو كانت لا حاجة لها بما تطلب لن أتردد في منحها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد طالبا، هل تظنين بأن كل من يطلبون في عصره عليه السلام كانوا معوزين وليس منهم من يستفيد بطيبة قلب وكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهم أنه لا يرد سائلا؟

يكفيني شعورها بالرضا بعد نيلها مبتغاها، وأثق في جزاء الله عز وجل؛ إن لم يكن بالدنيا فحتما بالآخرة.

لوحت زميلتها بضجر بعد هذه الخطبة المطولة وانصرفت لأعمالها، وبعد قليل عادت عايدة لتمنحها مروة حقيبتين تحملان وجبتين للإفطار والغداء، سألتها الأخيرة قائلة: - هل تريدين مكانا هادئا لإفطارك؟

تنحنحت عايدة وقالت:

- هل يمكنني صحبهما معي للمنزل كي أكون على راحتي.

- بالطبع جدا.

خرجت عايدة وهي تشعر برضا تام، وبعد المعاونة في استقلالها لسيارة العودة، أتتها مكالمة لم تتأخر في الرد عليها، كانت من إحدى الناشطات على الشبكة الإلكترونية في المساعدات الإجتماعية، كانت تبشرها بأنها قد حصلت لها على الغسالة (الفول أوتوماتيك) و (الديب فريزر) المستقل اللذين كم تمنتهما في جهازها قبل زواجها الوشيك، كانت آيات الفرحة ظاهرة على وجهها ونبرة صوتها وهي تلهج لها بكل تعابير الشكر المعروفة، وفي النهاية انكسر صوتها قليلا وهي تقول: - أعلم أنه قلة أدب، ولكن لو أمكن خيرا ونعمة، إن لم يكن فجزاك الله عني كل خير لقد فعلت الكثير.

- أنت تأمرين يا جميلة.

- أتمنى كذلك أن يكون عندي (ميكروويف) لا تعلمين كم سيكون مريحا لي بسبب ظرفي الـ..

قاطعتها محدثتها قائلة:

- سيكون في الطريق إليك مع بقية جهازك إن شاء الله.

أنهت عايدة مكالمتها وقد تملكها الشعور التام بالنصر، ولكن أبى القدر أن يتم عليها فرحتها، فقد نطقت مجاورتها في السيارة قائلة: - متى ستكفين عن أسلوبك هذا يا عايدة؟

تنهدت عايدة بتأفف وقالت بتحد:

- لو سمحت يا ميرفت، سئمت من أقوالك الحكيمة والجميلة، لكل إنسان طاقته، والحمد لله لا أسرق ولا أقوم بالنصب على أحد.

- سبحان الله، ما أريده مطلب عادل جدا ومفيد وأعجز عن الوصول له، ولو سلكت طرقكِ السهلة المريحة هذه لنجحت فيه!

برغبة صادقة في المساعدة سألتها عايدة قائلة:

- ماذا تريدين وسوف أرشدك لكيفية الوصول وبسرعة؟

- عندي كل المؤهلات للعمل الحقيقي بالشركة، طلبت منهم تعييني لوظيفة تناسب مؤهلاتي، وكان الرد المعروف أنه رفض بأدب منهم.

بحماس ردت عليها عايدة قائلة:

- أعلم أنك خبيرة في الإنترنت، لو نجحت في اختراق موقعهم وفِعْل شيء لا يقدرون على إصلاحه، وتذهبين بالصدفة إليهم وتصلحين لهم هذا العيب؛ عندها سيعلمون أنك مفيدة بالفعل وليس إدعاء منك، وقتها سيقومون بتعيينك.

ضحكت ميرفت قائلة:

- لا يمكنني السير في تلك الطرق الملتوية، وكذلك لا خبرة لي مطلقا في أي اختراقات.

- لو فكرت جيدا فيما يشابه ذلك ستجدين ألف طريقة تقنعهم، ما عليك هو السعي وعدم الاستسلام.

ضحكت ميرفت لتمام صدق الجملة الأخيرة لعايدة، ولكن في الاتجاه غير السليم من وجهة نظرها، فهزت رأسها قائلة: - كلامك صدق وحق هذه المرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بينما عامر بجسده الرياضي، وبشرته ناصعة البياض وشعره الناعم شديد السواد والمنسق بعناية، بينما هو منهمك في تناول إفطاره وسط صالة الطعام التي تعج بالفاتنات الأسبانيات في عمر الزهور اليانعة، ورغم بزوغ مفاتنهن لتخطف الأنظار أينما توجهت، ولكن كأنما فقد عامر شغفه وميله الفطري نحو ذلك، لا يدري ما السبب، هل هو تشبعه السابق بالتجربة التي خاضها في كولومبيا؛ والتي زرعت بداخله يقينا أن الثمرة المحرمة مهما أكلت منها لن تشبعك؛ بل ستغوص بك إلى دركات أخرى نحو الهاوية رويدا دون شعور منك، أم خوفه المسيطر على وجدانه من المجهول الذي يترقبه، أم أن إحساس المسئولية العظمى الملقاة على عاتقه؛ نزعت منه اهتمامه بالصغائر، وصارت عظائم الأمور هي محط اهتمامه وشغله الشاغل ؟

وكأنما عزوفه عن اصطياد بعض الزهرات قد استنفر الأبالسة في تحد معه، فإذا بأكثرهن فتنة وجمالا تسحب مقعدا لتشاركه مائدته وهي تلقي عليه التحية بدلال كبير، رفع عامر رأسه وهزّها في ابتسامة مجاملة ليرد عليها التحية وعاد لينغمس في طعامه، ولم يدر بأن رد فعله هذا كان أكثر جذبا لها؛ بما يفوق كل حيل التقرب إليها من جميع الذكور حولها!

فقد اعتادت أنها محط الإبهار المستمر لكل من يراها، فكيف لا يلمع ذلك في عينيه؟!

فقالت له باستفزاز:

- هل أنت عربي حقا؟!

- بنفس الابتسامة المجاملة رد عليها قائلا:

- نعم.

- وما الذي عاد بكم؟

- اتسعت عيناه في دهشة أرضتها وقال بجمود:

- سؤال عنصري يمكنني شكواك بسببه.

وصل غضبها للذروة وانتزعت أشياءها وانصرفت في عنف، ليتنهد عامر في ضيق، فلم يعد ينقصه سوى ذلك، مر عليه شهران انغمس في إعداد موضوع رسالته وجلب مصادر أبحاثه لها، التزم بصلاته، واظب على اتصالاته مع عبير زوجته وأبيه ساعة على الأقل يوميا؛ ليعيشا معه تفاصيل حياته الهادئة التي يرتضيها؛ حتى أنه تمنى لو صار الأمر في حقيقته هو السعي لنيل درجة الماجستير وفقط، فليس هو بالرجل الخارق القادر على صراع الحضارات وطعن الزعماء الكبار، والإفلات من محاولات القتل وما إلى ذلك.

تذكُرُه لما ينتظره مع منظمة (اليد الواحدة) هوّن عليه ما حدث منذ قليل، فتلك متاعب ومصاعب هيّنة، وتسكن في بند التفاهات مقارنة بما يترقبه من حروب خفية!

وإذا بعيناه تتسعان دهشة وانبهارا، وصرخ في فرحة كبرى اهتز لها وجدانه، وهو ينهض من مقعده؛ في مشهد جعل كل العيون لا تقل عنه اتساعا ودهشة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ذكر المؤرخ (بيتر مونتيج): أن عدد سكان القارة الأمريكية عام ١٤٩٢ كان حوالي ١٠٠ مليون، تم إبادة هؤلاء البشر خلال سنوات معدودة حتى وصل عددهم إلي ٢٧٠ ألفا فقط، وتنوعت سبل الإبادة الوحشية بطرق لا يتخيلها

بشري؛ تفنن الأسبان في ابتكارها حتى أدهشت كل أبالسة الجحيم، وألجمت ألسنتهم من الحسرة؛ بعد تفوق ابن آدم عليهم بشيطانية عجز عنها أسيادهم!

حتى بعد استقرار الأمر لهم بمن تبقى من أهل الأرض، كان استعبادهم في مهن تقضي عليهم هو الشائع!

وفي أحد تلك المناجم الثرية بالسبائك اللامعة، وبينما يمتطي (سانشو) ظهر جواده العملاق وهو يتحرك بمنتهى الخيلاء وعينيه كعيني صقر تجوبان وتمشطان موقع العمل بمنتهى التركيز والدقة، لمح ظل رجل يختفي بسرعة خلف صخرة كبرى، لكز بطن جواده بقدمه اليمنى ليدفعه للقفز مسرعا نحو تلك الصخرة، وصل إليها في ثوانٍ لا تتجاوز ثلث الدقيقة، شد لجام فرسه ليوقف اندفاعه وقد تناثر الغبار أمامه، وبعد اندثاره تكشفت له الصورة التي أدهشته، فقد كانت المنطقة التي توارى فيه الظل بسرعة كالطيف خاوية تماما!

دار حولها بشكل كامل، ولم يجد شيئا، ابتلع ريقه الذي اقترب من الجفاف لشدة الحر، ولم يشفع له ذلك أن يرفق بالعمال الذين يتهاوون أمامه من شدة التعب والمهانة في ذلك الجو، فهز رأسه بأن عينيه حتما قد خانتاه بسبب الحر الذي يوحي إليه أحيانا بظهور مياه بعيدة أو تموجات بعض الكثبان الرملية وتحركها بشكل عجيب، فحتما هذا خداع بصري مماثل!

فعاد إلى مظلته المقامة عند تبة عالية تكشف له مسرح العمل بشكل كبير، ونزع قبعته الكبرى ليضعها على مائدته الخشبية وتناول قارورته المغطاة بالخيش المبتل لتحفظ له برودة ما بداخلها، وتناول جرعة كبرى روت الكثير من ظمئه، ولكن فجأة وبلا مبرر، يبدو أنه قد اكتشف عنده ظمئا آخر يجب ريه أيضا، فقد أخرج مسدسه من جرابه بسرعة ليطلق منه طلقة نفذت بمنتهى المهارة لتمزق قلب ذلك العجوز المتهاوي من أثر التعب والحر!

توقف الجميع برهة وهم يحدقون بدهشة نحو جثة الرجل، الذي لا يدرون هل كانت تلك الطلقة بمثابة الرحمة له، أم هو الهوان الذي يعيشون به في مرتبة أقل من الحشرات؛ التي قد تدوسها قدميك دون أن تدري!

كان توقفهم لبرهة أقل من التقاط الأنفاس بمثابة بداية ثورة لا يمكن السماح بأيٍ من مقدماتها ولو بمجرد توارد الأفكار، لذا ارتفع صوت شد الأجزاء المعدنية بالأرجاء للأسلحة التي يمسك بها الحراس المنتشرون، وبدأ التصويب نحو العمال الذين ارتعدوا في رعب بيقين أن الرصاصات ستنطلق نحوهم بلا هوادة ولا أي حسابات مسبقة؛ فاندفعوا إلى أعمالهم المعتادة كأنما من مات منذ قليل هو قط أو فأر ضال لا يستوجب توقفا أكثر مما فات!

ابتسم (سانشو) برضا تام وقد تعاظم بداخله شعور السيطرة على مقاليد الأمور، فتمدد باسترخاء تام على كرسيه مادًّا قدميه لمنتهاهما، وأرخي القبعة على وجهه مستظلا بها، موقنا أنه لم يعد في حاجة إلى النظر المباشر لمتابعة الأمور في موقع عمله الهام هذا.

ومن بعيد سالت الدموع من عيني ذلك المختبيء الذي فر ببراعة من ملاحقة (سانشو) له، كان هو الوحيد الذي تبقت عيناه لتودع القتيل بكل أسى، فتنهد بحرقة وشعور بالعجز عن أي فعل يواسي به هذه الجثة الملقاة بلا أي ذرة اهتمام!

ولكن اتجه بناظريه تجاه أحد الصناديق الخشبية والذي رفعه رجلان بعناية، ليستقر بين زملائه من الصناديق الأخرى الثرية بسبائك الذهب الكبرى، وما إن تحركت تلك العربة الخشبية تجرها الخيول بسرعة نحو مصيرها المعلوم، حتى انتزع الرجل بسمة شاحبة، وقد شعر بظفر محدود لنجاحه في مهمته الصغيرة، فقد نجح في دس المطلوب منه وسط الكنوز المنهوبة في هذا الصندوق، ولم ير غيره علامة (x) المنقوشة عليه بعناية في ركنه الأيمن السفلي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انسابت تيارات الهواء الباردة المشبعة باليود والقادمة كنفثات من المحيط لتلطف وتعبق بها الأجواء المجاورة، لتتمايل على أثرها قمم الأشجار في انتعاش متراقص بالشكر الناطق به حفيفها.

وبين هذه الأشجار كان (روبرت) يتهادي في خطواته برفقة ضيفه الهام جدا!

تنهد (روبرت) وهو يقول:

- الآن استقرت كل القطع في مواضعها الصحيحة وفي التوقيت المناسب، يجب أن نبدأ في الحركة الأولى.

- ابتسم ضيفه ببسمة الثقة والرضا وهو يقول:

- آن لنا أن نحصد ثمار جهد كبير من الإعداد والتخطيط.

- نبدأ بحركة إسبانيا أولا، مع الترقب على كافة الجبهات، والاستعداد بكل الخطط البديلة.

حافظ الضيف على بسمته الواثقة بعينيه الثعلبيّتين وهو يقول:

- اطمئن تماما نحو جبهة إسبانيا، تلك أفضل وأقوى الجبهات عندنا الآن.

توقف (روبرت) وتنهد وهو يقول:

- نحن على مشارف تغيير التاريخ، بخطوة غير مسبوقة.

بمنتهى الثقة رد الضيف قائلا:

- سيتغير بمشيئة الرب.

- أرجو ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقف عامر طويلا أمامها بعينين متسعتين، ومشاعر مشتعلة بالفرحة لمرآها، وكيان يرتج من المفاجأة التي لم تخطر بباله، نطق اسمها ليتيقن من أنها هي حقا قائلا: - ماريانا!

بابتسامة تحمل وقارا لم يره معها سابقا قالت:

- نعم ماريانا، كيف حالك عامر؟

- هَمَّ أن يندفع نحوها ليحتضنها هو، على نقيض المرات السابقة التي كانت تندفع هي نحوه بكل طفولية ومشاغبة ودلال، كانت مفاجأة مبهجة له بكل المقاييس، فقد أتت إليه صاحبة الذكريات الفريدة في حياته، جاءت إليه من يعرفها وتعرفه وسط هذه الأجواء القاتمة في إسبانيا؛ التي لم يعتدها ويحبها بمثل ما عشق الأخرى في كولومبيا سابقا، ها هو لم يعد وحيدا في بيئته الجديدة!

مدت يدها الرقيقة مصافحة، فلم يستطع مقاومة عناق أكفهما لثوانٍ ثم دعاها إلى مائدته وسط كل العيون التي تكاد أن تلتهمهما!

رغم غيابه عنها عاما واحدا وبضعة أشهر، إلا أنه شعر بها كأنما قد كبرت عشر سنين!

حتى في طريقة حديثها ولغتها الجسدية؛ لم تعد (ماريانا) تلك الفراشة سريعة الحركة والكلام؛ ظهر عليها النضج بشكل كبير، كأنما فقدان أبيها قد نزع عنها كل ما كنت تستند إليه؛ فلم يعد لها مسوغ أن تتفاعل بلا حسابات مسبقة كما كانت دائما.

بفرحة وشجن كبيرين تحدث معها مسائلا إياها عن كل أخبارها، ولم يكن هناك أي جديد أو خاص، فالمجموعة الاقتصادية تعمل بشكل تلقائي بإدارتها الجديدة، وهي أنهت دراستها العام الماضي، وعندما عزمت على استكمال دراستها العليا، اختارت موضوعا نصحها أستاذها هناك بأن تأتي لإسبانيا؛ لأن دكتور (موريس) أشهر من تخصص في ذلك الموضوع.

سألها عامر مبتسما عن الموضوع الذي اختارته، وكم كانت دهشته عندما قالت:

- (اختلاف الأبواق الصوتية للغة الأسبانية بين بلدين، إسبانيا وكولومبيا مثالا).

وكعادتنا كعرب بشكل عام، أو مصريين بوجه خاص، عندما تشتبك الصدف بشكل كبير وربما مبالغ فيه، نبحث عن الرسائل الخفية والأقدار العلوية التي جمعتنا وأحاطتنا بهذه الصدف العجيبة، فقد نظر عامر نحوها نظرة شغف كبير؛ لحظتها (ماريانا) ولأول مرة يعلوها خجل وهي تشيح بعينيها عنه! واستمر حديثهما ساعتين كاملتين تمنى عامر ألا تنتهيا أبدا، وقد تعمّد كل منهما ألا يسائل الآخر عن ارتباطه، فلم تسأله (ماريانا) عن زوجته (عبير)، ولم يلمح عامر ولو بطرف القول عن وقوعها في الحب مجددا أو مرافقتها لشاب جديد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الطرق عنيفا على باب المنزل و(ميرفت) تهتف بغيظ على الطارق أن يهدأ قليلا:

من خلف الباب سألت عن الطارق، وبصوته الممطوط قال لها: أنه (غزة).

قالت بغيظ:

- تصدق بالله مش هافتح لك علشان تخبيطك اللي فزعني ده.

- خلاص حقك عليا يا أوستاذة.

- عايز إيه يا غزة.

- عايز منك خدمة.

- خدمة إيه إن شاء الله.

- يا أوستاذة مش هينفع كده، افتحي لي علشان أعرف أشرح لك.

- أنا لوحدي مش هينفع أفتح لك خالص.

- خلاص الحاجة جاية على السلم أهي هادخل معاها.

لم ترد عليه ميرفت وانطلقت مسرعة لتحكم حجابها لعلمها أن أمها ستفتح وتسمح له بالدخول، وبالفعل بعد قليل كان يستريح على أحد مقاعد الصالة البسيطة والنظيفة في نفس الوقت، يلتهم بشراهة ثمرة الفاكهة التي نالها من أمها دون محاولة تنظيفها من أي عوالق بها، فقالت له ميرفت: - عايز إيه يا غزة؟

- والله عايز أتجوزك.

- والله يا غزة لو الرجالة كلها عُدمت ومش باقي إلا أنت لا يمكن.

- الله! ليه كده يا أوستاذة، دا أنا عمري ما ضايقتك في حاجة.

- يا غزة أنت مبتخفش من ربنا ولا بتعمل له حساب، هتراعي مين بعد كده وتديله حقه؟

- دا أنا حتى شهم معاك وعمري ما اتأخرت عنك في أي حاجة.

- سيبك من كلام السيما ده، هاقولك وجاوب بصراحة، لو أنت شارب ولا ضارب برشام، تضمن تصرفاتك وتعرف تتحكم فيها؟

- يعني مش قوي.

- طيب يعني ممكن تقتلني ولا تأذيني وقتها، ده أبسط حاجة يعني.

- طيب ادعي لي ربنا يهديني علشان اتجوزك.

- ربنا يهدينا ويهديك يا سيدي، ها عايز إيه بقى؟

تذكر غزة ما أتى لأجله، فأخرج من طيات ثيابه جوالا حديثا وقال لها:

- عايزك تفتحي لي التلفون ده.

- بتاع مين ده يا غزة؟!

- بتاع تاجر مخدرات كبير نشلته منه.

- لا اله الا الله، وأنت مخك صور لك إني هاوافق عادي، ده لو أنا هاعرف أفتحه أصلا.

بمنتهى الجدية وبرجاء شديد قال لها:

- بصي يا أوستاذة بس كلام في سرك علشان دي أعراض ناس، الرجل ده كنت موديله شوية بنات من هنا وهو مصورهم، أنا عايز نشيل التصاوير دي وأرجع له التلفون من غير ما يحس، علشان البنات دي تتستر وميتفضحوش.

- طبعا أنت فاكر كده أنك راجل وشهم.

ارتفع صوته بانزعاج قائلا:

- طبعا وسيد الرجالة كمان، بحافظ عليهم أهو.

- بقى يا راجل يا قرون تسرحهم في الحرام وفي السر عادي، إنما الناس تشوف صورهم وتعرف، لا كله إلا كده؟!

قام غزة واقفا وهو يمسح أنفه مع صوت رشفة مقززة منها، وهو يشعر برأسه تغلي قائلا:

- خلاص يا أبلة ملوش لزوم كلامك ده، شكلك لقتيني جدع معاك وسُقتِ فيها جامد من غير ما تحسي!

- لا يا غزة إنتَ اتضايقت علشان باكلمك بصراحة، وصراحتي هي اللي ضايقتك.

لوح بيده بقوة وهو يقول:

- خلاص خلاص هاروح لأي سايبر ولو إني عارف ولاد الكلب هياخدو نسخة من غير ما أحس، وممكن ينزلوها على النت كمان، وذنب البنات دي في رقبتك.

هتفت به قائلة:

- يعني لما مشيو في الحرام مكنتش خايف من الذنب وانت بتساعدهم، وهم كمان معملوش حساب لربنا! وجاي تقولي ذنبهم في رقبتي.

- يا ستي الشيخ بيقول ربنا حليم ستار، ولو سترت عليهم ممكن كلنا نتوب، إنما لو اتفضحنا انتِ قطعت علينا سكة التوبة، وخلاص مش هيهمنا لا الناس ولا اللي خلفوهم وهنزودها أكتر وأكتر.

ابتلعت ميرفت ريقها بصعوبة وقد نال منها منطقه الذي تحدث به، لا تدري ما الصواب وأصابها ارتباك كبير، فقالت بصوت خفيض متردد: - خلاص يا غزة هات الموبيل، هاشوف على النت إزاي أعرف افتحه، وأنا اللي هاحذف اللي عليه علشان متمسكش أنت ذلة على البنات، ما أنت برضه مش الملاك الطاهر.

ضحك بسعادة قائلا:

- خلاص يا أوستاذة عين العقل، ده العشم برضه.

منحها الجوال على وعد بالعودة لها بعد سويعات كي يلحق بإعادته قبل أن يحدث مالا يحمد عقباه بسبب غيابه الطويل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الجوال الملوث شديد الحماية ولا يمكن كسر وسائل تأمينه بسهولة، تنقلت ميرفت بين مواقع وصفحات خبراء الجوالات ولم تجد بغيتها بينهم، همت أن تزيح عن كاهلها هذا الأمر برمته، فما زالت لا تدري مدى مشروعية ما تفعل، ولكن كأنما أدركت محركات البحث وشبكات التواصل معضلتها، فبدأت تظهر لها إعلانات متنوعة عن دورات تعليمية للحماية وكسر الأمن

لمختلف أجهزة الحاسوب والجوالات، ولعجبها كانت إحداها تتبع مركز تكنولوجي عالمي منبثق عن جامعة أمريكية مرموقة، كانت تعرفه جيدا لأنها منذ أشهر قريبة؛ بعد تطوعها في عمل الكتروني بحثي لإحدى الجامعات المصرية، كافأتها إدارة الجامعة بمنحها اشتراك مفتوح بكثير من المراكز البحثية والتكنولوجية العالمية، وكان ذلك المركز الكبير أحدها!

ذكّرها الإعلان بذلك، تبعته إلى داخل حسابها الرسمي للدراسة والانتفاع بما في المركز، ووجدت بالفعل أن الدورة ستكون مجانية لها، ولكنها بالصعوبة البالغة وفي مستوى طلاب تقنية المعلومات وأمان الشبكات، ومع ترددها في الإقدام على ذلك الأمر الذي تفوح منه كل الروائح الخبيثة، أغلقت كل شيء وتنهدت وهي تشعر بالخيبة التي تعانق قليلا من الراحة!

وبعد ساعتين كان غزة يتقافز أمامها وهو يطلب الجوال مكسور الحماية، فقالت له:

- بُص يا غزة الموضوع صعب.

- صعب عليك برضه يا أبلة؟ دا أنا كنت باقول عليك الوحيدة اللي بتفهم في الحتة.

- بافهم غصب عنك طبعا.

- فين بقه؟

- بُص يا غزة، أنا ممكن أفتحه فعلا، لكن الموضوع عايز وقت ودراسة وجهد، والله أعلم أصلا أنت هتعمل بيه إيه، سكتك كلها حرام وشمال، فخد يا عم، ويا نحلة لا تقرصيني ولا عايزة عسلك.

مسح غزة أنفه مع رشفة تمعضت لها ميرفت وهي تقول له:

- كفاية قرف بقى.

تنهد غزة وقال:

- طيب بصي هاقولك الحقيقة، بس فيكي اللي يكتم السر؟

- يا دي النيلة، يا عم ابعد عني إنتَ ومصايبك مش عايزه أعرف.

- حتى لو قلت لك، لو فتحتيه هتنجدي اتنين رقبتهم هتطير؟

- أحسن يتربو في السجن.

- لا دول هيتدبحو ويتدفنو في الصحرا عادي.

ارتعدت ميرفت بخوف حقيقي وقالت:

- إيه؟

- آه والله زي ما باقولك كده.

- يا سيدي قلت لك ابعد عني إنتَ وسكتك الوسخة دي، أنا مالي بكل ده؟

- بصي يا أوستاذة، مش هاقولك حاجة، بس وعهد الله والنعمة الشريفة اللي كلتها عندكم، فيه اتنين متوظفين في الوحدة المحلية ومش بتوع حاجة هيتدبحو بكره لو معرفناش الرجل ده كلم مين النهارده.

- يا غزة والله الموضوع صعب وعايز وقت، إنتَ مش واخد بالك إني كفيفة؟

- تصدقي بالله ما افتكرت غير لما قلتي لي دلوقتي، إنتِ اللهم صلي على النبي ولا أجدعها مفتح في الحتة.

- طيب عايزه يومين على الأقل.

- استبينا.

- يعني إيه؟

- هاجي أخده بعد يومين.

- يا بني مش قلت هيتقتلو بكره؟

- أنا كنت بافاصل معاك بس.

- أيون، أهو بسبب كلمتك اللي كل دقيقة بلون دي، أنا كده الحمد لله اطمنت وباقولك يا سيدي اللي يموت يموت، مليش فيه.

أخذ غزة يتقافز أمامها وهو يرجوها ويتوسل ويتضرع إليها، وأخيرا قالت له:

- بُص يا غزة، روح أي سايبر وهم هيفتحوه لك هوا.

- والله ما عرفو يا أبلة.

- يا ابن الإيه وداخل عليا بحوارات، مرة بنات ومرة ناس هتموت!

- وعزة جلال الله..

- غزة أبوس ايدك امشي بقى، والله ما هاعمل لك حاجة.

بحسرة وإدراك تام لإنعدام فرصه قال غزة:

- كده يا أوستاذة، ماشي بس افتكريها.

وتركها منصرفا وبعد دقيقتين ارتفع صوت طرقاته لتفتح وتمنحه الجوال الذي نسيه دون تبادل حرف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مر شهر عجيب على عامر، أصبح يتلهف يوميا إلى لقيا ماريانا؛ التي يشعر بأن نضجها العجيب الذي لا يتناسب مع شخصيتها السابقة أصابها بتغيرات كثيرة، أهمها بالنسبة له عدم لهفتها ولا حرصها على لقياه بمثل ما يفعل!

بل لا يدري هل تتعمد بالفعل إثارة غيرته غير المستحقة أم لا؟

فما من مرة تراه فيها إلا وتعمدت أن تتحدث عن أحد الشباب الأسبان المعجبة جدا بهم، وأنها على وشك الخروج مع أحدهم، ورغما عنه يبتلع ريقه بصعوبة ولا يستطيع الرد عليها بالمنع، ولكن يستمر في نصيحته لها أن تتمهل في التعرف بأي جديد حتى لا تصاب بصدمة تنال منها، ولا يدري هل بسمتها تلك هي بسمة انتصار أم رضا عن اهتمامه بها!

وجاءت أعياد الميلاد، وهي الإجازة المستحقة والتي تحظي بدسم وزخم كبيرين هناك، وبعد أن تحدث عامر لمدة ساعتين كاملتين مع عبير جعلتاه يستشعر أنه قد أدى ما عليه نحوها؛ وقد بثها من كلمات ووصف مشاعر الحب أكثر مما تتوقع!

اتصل بماريانا ليطلب منها مرافقته لقدح من القهوة في أحد الأماكن القريبة، ضحكت قائلة:

- الوقت ليلا وغدا يوم حُر، المناسب الآن هو كأس من الويسكي وسهرة ماجنة.

ابتلع ريقه بصعوبة، فمهما كان انجذابه إليها، ورغبته الدفينة باستثمار كل لحظة ثرية معها، ولكن أبدا لن يشاركها تلك المحرمات!

فقال بتردد:

- تعلمين جيدا أني لن أفعل ذلك.

- علت ضحكتها وقالت:

- من قال بأنها ستكون معك أنت؟ لديك زوجتك.

ورغم محاولة استمالتة ضميره جانبا، ولكن جملتها نالت منه بقوة، فقال بصوت خافت:

- نعم، معذرة.

هَمَّ أن يغلق هاتفه بقطع الاتصال معها ولكن ردت مسرعة وقائلة:

- لا بأس بقدح القهوة السريع معك، ولكن بعد خمس دقائق فقط.

ببسمة مريرة وقد اهتزت لهفته السابقة قال:

- حسنا موعدنا بعد خمس دقائق.

وكالعادة وبلا تأفف انتظرها في المقهي القريب قرابة الساعة، حتى جاءت تتهادي وقد تألقت في ملبسها الأنيق أسفل معطفها الفرو الثقيل، كان عامر يتوقع منها أن تأتي وقد تخففت من ملابسها كعادتها السابقة؛ فهو مجرد محطتها إلى سهرتها الماجنة!

ولكن حشمتها المبالغ فيها لم يكن ينقصها سوى حجاب أنيق ليخفي شعرها الكثيف الناعم والمتطاير في مشهد جذاب جعل قلبه يخفق لمرآها!

رحب بها وتناول معطفها ليعلقه على مشجبه، وسحب لها الكرسي الذي سيحظى بجلستها عليه، وجلس مقابلًا لها وهي تسحره ببسمتها النافذة وتقول: - لقد تعلمت كل بروتوكولات الاتيكيت جيدا.

ضحك قائلا:

- ومن لا يسعى إلى ذلك في وجود أميرة فريدة مثلك؟

ارتبكت ملامحها وأشاحت بنظرها وقالت:

- دعني أطلب لكَ قهوتك المحببة.

وبالفعل جاءت بها بكامل المواصفات التي يعشقها!

شعر بالحبور لفعلها ذلك، هَمَّ أن يسألها عن المدى الذي وصلت إليه في دراستها، ولكن عاجلته قائلة:

- أين ستقضي عطلة عيد الميلاد؟

- كنت أفكر بالسفر إلى مصر، ولكن عدة أيام لا تستحق كل التكلفة الواجبة لها.

همّت أن تنطق، فقاطعها مستدركا وضاحكا:

- ولن أقبل مساعدة من ماريانا.

ضحكت بنغمة اهتزت لها أوتار قلبه وقالت:

- لم يكن ذلك ببالي، كنت على وشك دعوتك ومنحك عرضا أتمنى ألا ترفضه.

نظر نحوها باتساع عينين متسائلتين عمَّا تقصد، فاستطردت قائلة:

- لقد حجزت لعطلتي بباريس، كنت أسألك مرافقتي إليها.

كانت مفاجأة تصاعدت بها فرحة عامر، واجتر بها رحلاته السابقة مع أبيها لدول أمريكا الجنوبية، همّ أن يجيب مسرعا بالموافقة، ولكن توقف مستشرفا مستقبل هذه الرحلة، فقال بحذر: - ماريانا لن أخفيك سرا؛ لست مستعدا لأي شطط، وكذلك لن أتحمل منك هذه الشطط مع غيري، عندنا هذا يخالف شيم الرجولة.

للمرة الثانية ارتبكت ملامحها وقالت بصوت شاحب وهي تشيح ببصرها:

- ليس من حقك يا عامر أن تفرض عليَّ أسلوب حياتي، ولكن في مكالمتي كنت أعبث بك قليلا بغرض المرح.

رغم فرحته وشجنه بسماع ذلك، شعر كأنما يجلس أمام ماريانا أخرى غير التي يعرفها تماما، من المستحيل أن تكون وصلت لهذه الدرجة من النضج في خلال عام واحد منذ تركها!

وانتهى قدحيهما وقد اتفقا على تفاصيل الرحلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لاح برج إيفل الشهير من بعيد عبر النافذة الصغيرة للطائرة، وبلهفة وشجن أخذ عامر في التطلع إليه، وماريانا المجاورة للنافذة تشاركه النظر ولكن ليس بدرجة الشغف التي ينفعل هو بها، قال لها بحماس: - هناك القليل من الآثار التي تعد علامات مميزة ودالة على بلادها، مثل الأهرامات عندنا، وتمثال الحرية في أمريكا، وبرج إيفل هنا.

بهدوء قالت له:

- أعلم شغفك بتاريخ البلدان وبحثك عنه قبل زياراتك لها، أخبرني عما عرفت من تاريخ فرنسا.

اعتدل عامر في جلسته وقال بحماس:

- هناك التاريخ المعروف والشهير لها والذي حتما تعلمينه، عن الثورة الفرنسية والحروب العالمية ونابليون وما شابه، ولكن دوما أبحث عما يتوارى بالظل.

جاوبته بسمتها الجميلة تستحثه على المزيد، فاستطرد قائلا:

- للأسف ما قرأت لن يعجبك، فرنسا لها تاريخ أسود دموي بشع، يخالف الشهير عنها بأنها بلاد النور، والموضة، والرقي، والرقة، والتحضر!

احتلالها للبلدان الأفريقية كان أسوأ احتلال تذوقته، فلم يتوقف الأمر عند نهب الثروات وتجارة الرقيق، وإنما كانوا الرعاة الرسميين لكل المذابح الكبرى بها والتي آخرها كان في حقبة التسعينات عندما قاموا بتسليح قبائل الهوتو لحرب إبادة ضد التوتسي في رواندا.

لقد وصل حد استهانتهم بالحياة البشرية أنه في عام ١٩٥٠ أنتجت السينما الأمريكية فيلما بعنوان (الوردة السوداء)؛ وكان بعض المشاهد الخارجية بالبلد العربي (المغرب) إبان احتلال فرنسا لها في ذلك الحين، فأراد لوريس مورين الضابط الفرنسي الحاكم للمنطقة التي سيتم التصوير بها – مجاملة المخرج الأمريكي للفيلم هينري هيثواي، فقام بإعدام مواطنين مغربيين، وتم تعليقهما على أفرع الشجر ليتم تصوير المشهد بجثث حقيقية بدلا من استخدام الدمى كما هو شائع!

الفرنسيس هم من قاموا بالتجارب النووية على البشر وذلك في صحراء الجزائر إبان احتلالهم وقتلهم لمليون شهيد بها.

وهي المتزعمة للحملات الصليبية الكبرى، أكبر حملات طائفية حملت اسم الدين وأوغلت في المذابح نصرة له على حسب زعمهم.

بابتسامة شاحبة أجابته قائلة:

- ولكن هذا تاريخ قديم، لا يمكن محاكمة الحاليين به، فلربما قد ندموا عليه، رئيس وزرائهم الشاب ماكرون، أعتقد أنه يخالف ذلك.

بحماس متصاعد أجاب:

- قرأت عن ماكرون هذا، ووجدت النقيض، فمنذ أن كان صبيا، أغوى مدرسته المتزوجة وغاص معها في علاقات غير مشروعة، وقد تزوجها الآن بعد إشاعة قصة حب مستحيلة بينهما، ولكن كل من عرفه قال بأنه يميني متطرف، ربما ينتمي لجماعة النورانيين المتهمة بكل أحداث المؤامرات العالمية المعروفة، وشعارها يشبه كثيرا شعار الماسونية!

كان الضجر جليا على ملامح ماريانا وهي تفتعل ابتسامتها قائلة:

- من الواضح تميزك في كشف خفايا التاريخ بالفعل.

ابتهج عامر لكلماتها، واعتدل قائلا:

- أعلم عدم اهتمامك بكل ذلك، وأنكِ ما جئتِ هنا إلا لقضاء وقت ممتع وفقط، وأعدكِ بعدم الحديث عن ذلك مجددا.

ابتسمت له بامتنان وقالت:

- أتمنى ذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في حديقة برج إيفل الشاسعة والمنظمة بدقة، جلس عامر برفقة ماريانا التي تطاير شعرها مع النسمات اللطيفة الباردة، ومع بسمتها الرقيقة أخذت تعزف على مشاعر عامر بالامتنان لها أن سمحت له بصحبتها، تناولا طعامهما الخالي من لحوم أو دهون الخنزير ولم يدخل في طهيها أي كحوليات؛ على حسب مطلب عامر، وأخيرا توجها لاستقلال المصعد المخصص للحجز المسبق، والذي لم يكن عليه كثافة وزحام بمثل ما يواجه المصعد الآخر؛ والذي تمتد أمامه طوابير طوال، ارتفع المصعد ببطء، وعامر بصره مأخوذ بمطالعة المعالم الآخذة في الصغر أمام بصره، وعندما استرق بصره نحو ماريانا لم يجد لديها شغفا مماثلا، شعر كأنما هي ما جاءت هنا إلا لأجله، شرد ببصره قليلا وقال لها: - ماريانا أشعر أن لديك ما تخفينه!

ارتبكت وقالت:

- لا يوجد شيئا، لِمَ تقول ذلك؟

نسي عامر المشاهد الساحرة والتي من المفترض أنها جاذّبة لبصره في تجربته الفريدة؛ والتي كان من الصعب عليه خوضها قبل ذلك، ونظر لملامحها الجميلة المثقلة بهموم خفية يظهر أثرها بشكل واضح عليها، وقال بشجن: - لستِ ماريانا التي عشتُ معها في كولومبيا، هل كل ذلك بسبب وفاة أبيك؟

رفعت خصلة من شعرها وقالت:

- هل تعلم ما هو السر الحقيقي لمجيئي إلى إسبانيا؟

ارتفع حاجبا عامر تساؤلا، فأجابت:

- عشت عاما بلا حياة، كما قلت أنت تحديدا، بعد وفاة أبي تغير الكون تماما، حاولت مرات ومرات بكافة الوسائل محاولة استرداد بعضا من روحي، وفشلت تماما، ومن بين كل ذكرياتي الكثيفة مع أبي، ظهرت لي إحدى نصائحه، وقررت اتباعها؛ فقد يكون بها الحل، ستتعجب جدا إذا علمت ما هي تلك النصيحة!

- ما هي ؟!

- في ذات مرة قال لي، إذا أردت تجربة حياة حقيقة، التصقي بعامر هذا، فهو رجل حقيقي.

ارتسمت بسمة كبيرة للبهجة على وجه عامر الذي تضاعفت ثقته بنفسه، وعادت إليه كل مشاعر الامتنان لجيفيد، وقال: - هل جئت فقط لمرافقتي؟!

ضحكت قائلة:

- لا تغتر كثيرا هكذا، فما زلت مملا مثيرا للضجر كما أنتَ.

شعر عامر بالسعادة لضحكتها الصافية وقال:

- تكفيني بسمتك الجميلة التي علت وجهك الآن، وأعدك أنت وأبيك ألا أُخَيّب ظنكما.

وبينما انغمسا في حديثهما المغلف بكل شجن ومشاعر فطرية متصاعدة، كانت هناك كاميرا تلتقط لهما الكثير من الصور التي تعمدت إظهار وجهيهما بمنتهى الوضوح والدقة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مرت إجازة أعياد الميلاد كوميض سريع في حياة عامر، نسي في بعض الأيام حديثه الذي ألزم نفسه به، كواجب يومي تكفيري عما ينغمس فيه مع ماريانا، مر يومان لم يسمع نبرات عبير المتلهفة المتسائلة عن أدق تفاصيل يومه، وعندما عاد إلى غرفته البسيطة الخانقة بمسكنه في إسبانيا، كانت مشاعره المتراقصة بكل سعادة هي صاحبة اللمسات لتحويل كل معالمها إلى نجوم ماسية يحلق بينها، وقد صارت رحابتها بعرض السموات التي لم يعد يرغب في الهبوط منها، كيف لشاب في عمره ألا تلتهب مشاعره في وجود حسناء كماريانا، ضعفها ورقتها كانا كفيلين أن يمسدا الطريق الذي استعصى عليها من قبل إلى قلبه، وبعيدا هنا عن زوجته وبقناعات عن حريته وحقه في التعدد المشروع، ومع يقين أنه لا يتجاوز ولا يصل إلى درجة المحرمات، لم يجد غضاضة في أن يترك نفسه للتيار، بل لقد بدأ في استجلاب المبررات التي توجب عليه ذلك، فهو يرى نفسه الآن كفيلها وراعيها ويجب ألا يتخلى عنها، فما جاءت إليه إلا طالبة لذلك.

في اليوم التالي بمنتهى النشاط والحيوية انطلق في طرقات الجامعة مختالا فرحا محلقا في سعادة، ينتظر لقياها لاحتساء قدح القهوة الذي اتفقا عليه كطقس صباحي دائم.

مرت الدقائق كسيحة كسلحفاة فقدت إحدى قدميها، كانت الفاتنات يمررن أمامه كأشباح أو صور شاحبة بلا ألوان، فعندما تظهر أميرة الأكوان سيعود الاتزان للحياة كلها، وقد تظهرن هؤلاء الوصيفات بجوارها؛ فقط ليصبحن المقارن الذي يثبت تميزها وتألقها وتفوقها عليهن جميعا.

ولكن رغم لهفته وصبره واعتياده على تأخرها، إلا أن مرور ساعتين يعد وقتا غير منطقي للتأخر!

قد تكون نائمة وامتدت بها أحلامها إلى مدى أكبر من المعتاد معها، لذا تناول جواله وصبر على رنينه ثلاث مرات، ولكن بلا رد!

تكرر المبرر الوحيد المقبول لديه أنها حتما نائمة، ولكن هاجسا باحتمال شحيح أنها في حال لا يسمح بالرد لمضرة ألمت بها، هذا الهاجس ضاعف القلق بقلبه، فاختفت بسمته المبتهجة، واهتزت مشاعره الواثقة، ولكن بنفس سرعة حركته اندفع نحو مسكنها.

وبطرقات متسارعة على بابها انتظر ردها بلهفة، تناهى إلى سمعه خطوات قادمة، وصوت ماريانا القائل:

- سأفتحه.

طالعه وجهها المتعرج بآيات الغضب، لانت ملامحها وابتهجت كذلك لرؤياه واحتلتها بسمتها المشرقة!

وهتفت به قائلة:

- تعال يا عامر.

في موقف آخر كان التردد والتمهل في الدخول إلى غرفتها هو قراره، ولكن شعر بأن الأجواء في الداخل تستوجب تلبية ندائها، لذا لم يتردد في الدخول خلفها، لتقابله المفاجأة التي لم يتوقعها، فقد كان جورمان بالداخل!

رغما عنه ابتهج عامر لمرأى جورمان، الذي كان يظنه سابقا ليس سوى سائق يثق فيه جيفيد، ولكن ظهر له في النهاية أن تلك الثقة فائقة لدرجة جعلته الوصي على ماريانا بعد وفاة أبيها!

ولأنه يشارك الأخيرة في أجمل ذكريات مرت بعامر في كولومبيا، فقد فتح ذراعيه في فرحة حقيقة وهو ينطلق نحوه، وبملامح متوترة عانقه جورمان مرحبا به، وقبل أن يندفع عامر في حديثه المرحب والمسائل عن الأخبار والأحوال قاطعته ماريانا قائلة: - تفضل يا عامر، هل تصدق أن جورمان جاء خصيصا ليصحبني في رحلة عودة إلى كولومبيا الآن؟ ولتذهب دراستي إلى الجحيم!

بجزع كبير التفت عامر نحوه وقال له:

- ليس هذا من المنطق في شيء!

تنهد جورمان بفراغ صبر وقال:

- الأجواء هنا تهدد ماريانا ببعض المخاطر، ولن أدعها لتواجهها مهما كان وهن احتمالية تلك المخاطر.

صادقا مخلصا رد عامر بسرعة قائلا:

- ثق أنني لن أتوانى في حمايتها من تلك المخاطر أبدا.

بنظرة حبور كبيرة اندفعت ماريانا نحوه وطوقت كتفه بذراعها وبعينين مليئتين بالتحدي قالت:

- هل رأيت؟ هذا هو بطلي الذي لن أتركه.

رغم سعادته القصوى برد فعلها، ولكن انسحب عامر بلطف من أسفل ذراعها، في حين نطق جورمان قائلا باستخفاف: - وهل تدرك أنت كم المخاطر التي ستظهر ابتداء من الغد؟!

رغما عنه ارتعد عامر وقد أدرك بأن الأوان قد حان، فقد انتهت الفترة التمهيدية التي أرادتها منظمة اليد الواحدة، لهذا جاء جورمان لينتزع ماريانا قبل الدخول في مرحلة الاشتعال، من المنطقي جدا أن يتركها لترحل بعيدا عن المجهول الذي يخشاه، ولكن بعد الرحيق الذي تجرعه بصحبتها في الأيام الماضية؛ قد تكون صحبتها هي الوقود الذي يعينه على الأهوال القادمة!

ولكن إن كانت قد نالت من قلبه؛ هل يرتضي لها التعرض لتلك المخاطر؟!

وبمشاعر مرتبكة نظر نحو ماريانا وبدمعة تصارع الفرار من مقلته قال:

- هل تعلمين يا ماريانا، كنت أتمنى أن أصارحك بها في وقت وبشكل يخالف هذا الموقف العجيب تماما، ولكن لابد منها الآن، فأنا أحبك.

محبتي لكِ تسلتزم الحفاظ عليكِ، وعدم تعرضكِ لخطر خسارتكِ لشعيرة نافرة من رأسك، أنانيتي تصارعني لطلب عدم سفركِ، ولكن محبتي المخلصة لكِ؛ تدفعني لمساعدة جورمان في ذهابكِ السريع، فالله أعلم هل سنرى بعضنا بعضًا مرة أخرى أم لا.

رغم سماعها من قبل لكثير من كلمات الحب والهيام بها، من ضحايا الوقوع تحت طائلة سحر جمالها الباهر، إلا أن كلمات عامر لها كانت أروع من كل القصائد التي قد تكتب يوما من حبيب لمحبوبته، لذا اعتدلت في عناد كبير وقالت: - لن أسافر مهما حدث، وسوف أشارك عامر كل المخاطر التي يخشاها، ولنمت سويا، لا يهمني ذلك.

أدرك جورمان بحصافته أن عامر قد تسبب في تعقيد الأمور بأكثر مما كانت قبل ظهوره، وأن أي صراع مع ماريانا الآن؛ والتي يرعاها منذ حبوها لن يأتي بأي نتيجة، هز رأسه بانزعاج وقال: - حسنا، إن أفلحت محاولات عامر معك، التذاكر جاهزة، فقط اتصلي بي.

وبلا انتظار لرد منها، انطلق جورمان إلى وجهته المجهولة، في حين التفتت ماريانا بعينين تفيضان بكل سعادة الدنيا ورفعت حاجبيها الجميلين وقالت: - أعد لي، ماذا قلت؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعينين زائغتين تحرك عامر وقلبه يضاعف ضرباته ليلاحق أنفاسه المتسارعة، من أول خطوة له بعد باب الجامعة وهو يتربص بمن يستوقفه؛ ليطلب منه بهمس أن يرافقه دون أن يلفت انتباه المراقبين، ولم يحدث، جلس في قاعة القهوة التي فرضها كطقس يومي بمشاركة ماريانا منتظراً لها بقلب واجف منزوع الشغف كما كان الحال في البارحة!

وفي جلسته المتوترة كانت عيناه تجولان لرصد كل من بالقاعة، خرج بنتيجة أن هناك خمسا على الأقل يراقبونه، إما متربصين أو حلفاء ينتظرون اللحظة المناسبة لاقتناصها، وبعد التهاب جميع أعصابه ومرور الدقائق عليه كناقلات تهرسه، ظهرت أخيرا ماريانا في ثوبها المحتشم جدا وقد زادت عليه قبعة تخفي ثلثي شعرها، كان جليا له أنها تسعى لرضائه فيما يخص ملبسها منذ قدومها إلى إسبانيا، وقد نال هذا منه كثيرا!

رغم جمالها الأخاذ، وشمسها البهية التي طغت عليه أشعتها فمحت عنه الكثير من المشاعر السلبية التي افترسته منذ قليل، إلا أن ترحابه بها كان يفتقد للنغمة المناسبة لتعبر عما يشتعل بداخله من مشاعر متوقدة نحوها.

جلسا وتناولا قدحيهما وذهبا سويا إلى دكتور موريس المشرف علي رسالتيهما معا، وتناقشا في كل ما يخص أمورهما العملية، وبعد الانتهاء وبينما أوشكا على الانصراف سويا مودعين، تقدمت ماريانا عابرة باب المكتب، وعندما أوشك عامر على العبور خلفها، ناداه دكتور موريس قائلا: - عامر.

التفت إليه متسائلا، فابتسم موريس قائلا:

- زوجتي تدعوك على العشاء لدينا الليلة.

ابتسم عامر في امتنان وقال:

- يسرني تلبية دعوتك يا دكتور.

وعندما التفت زاعما الانصراف، إذا بماريانا تكاد تلتصق به فانتفض مبتعدا عنها، في حين تخطته هي إلى الداخل لا مبالية وقالت بدلال: - هل يمكنني مرافقته على ذلك العشاء يا دكتور؟

تردد موريس وقد فاجأته بطلبها، فاتسعت ابتسامتها واقتربت منه وهمست بأذنه قائلة:

- أعلم كل شيء.

اتسعت عيناه دهشة وقال:

- لا يوجد أي شيء، يمكنك المجيء معه بالطبع.

وبينما تعبر الحديقة الخارجية برفقة عامر الذي سألها بفضول قائلا:

- ماذا تعنين بقولك للدكتور موريس أنكِ تعلمين كل شيء؟

ضحكت بثقة وقالت:

- ستعلم على مائدة العشاء.

وانصرفت بابتسامتها الغامضة وعامر يحاول نفي ما توارد لذهنه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهت مائدة العشاء البسيطة التي تنافي ما تعارف عليه بالمنطقة العربية في ولائم الدعوات؛ من أطنان وأعداد الأصناف المقدمة للضيف.

صحبهما دكتور موريس إلى مكتبه بعد أن طلب منهما غلق جواليهما وتركهما بالخارج، وبينما جلست ماريانا بثقة واضعة ساقا فوق الأخرى، اتسعت عينا عامر اهتماما وترقبا، وقد تيقن بأن ما توقعته ماريانا صحيح بنسبة مائة بالمائة، فها هي اللحظة المرتقبة!

تنحنح موريس ونظر نحو ماريانا وقال:

- دخولك في الأحداث لم يكن متوقعا ولا مخطط له، ولكن بعد الاتصالات اللازمة؛ تم تعديل الخطة لتشملكِ، فمحاولة ابعادكِ مع ما هو معروف عنكِ من عناد ومشاغبة سيضر بنا، خاصة بعد ارتباطكِ العاطفي غير المتوقع مع عامر.

بينما ازدادت بسمة الثقة على وجهها، انفعل عامر بالفرحة التي شملت وجدانه، مرة لإعلان محبة ماريانا له وقد شهد بها العالم كله، والثانية أنه لن يكون وحده؛ بل برفقة أكثر من يرغب في صحبتها الآن، وحتما ستكون الخطط الدقيقة التي يتحدثون عنها تنفي أي إحتمال لأذاها.

وبأسلوبه الأكاديمي التعليمي نفسه وبهدوءه وصوته العميق استطرد موريس قائلا:

- سيذهلكما ما تسمعان الآن من أساطير ممتدة منذ عصور ما قبل التاريخ، وأن هذه الأساطير ستصبح حقيقة ماثلة بين أيديكما، ومطلوب منكما تغيير

التاريخ والعالم بها، وأنكما من بين ثمانية مليار بشري ستحملون أمانة الحفاظ على أثمن ما نملك على ظهر الكرة الأرضية.

توقف موريس لالتقاط أنفاسه، وقد تسارعت ضربات قلب عامر لدرجتها القصوى حتى إنها قد دفعت بالدماء إلى وجهه الذي شعر به يشتعل انفعالا، وأدرك أن أذنيه قد احمرتا كعادتيهما عندما يصل انفعاله إلى الذروة، بينما التمعت عينا ماريانا شغفا ولهفة لسماع القادم.

استكمل موريس شرحه قائلا:

- في عام ١٠.٠٠٠ قبل الميلاد ضربت عدة نيازك كوكبنا، وما تبقى منها كان شيئا مجهولا تميز بأشعته الزرقاء المتألقة بقوة، أطلقوا عليها وقتها اسم (بيضة الشيطان) وتم وضعها بمعبد مقدس لحراستها مع إلقاء التعاويذ والصلوات التي تمنع فقسها على حسب معتقدهم وقتها. وبالطبع لم تفقس وكان ذلك ظنا منهم باستمرار الطقوس المقدسة لمنعها، وكعادة الأساطير تم رفع مستوى القصص حولها بأن نهاية العالم ستكون حين فقسها وخروج شياطين الجحيم منها لتبيد كل ما هو حي على وجه الأرض!

لذا تضاعفت حولها الأساطير ووسائل الحماية بمرور آلاف السنين، والتي لم تضعف من قوة بريق أشعتها التي زعموا مرارا بأنها جمرة ستنطفيء بعد مرور ألف عام، ولكن تعددت تلك الآلاف وتقلص حجمها فقط دون انطفاء، وتغير اسمها من بيضة الشيطان إلى جمرة السماء، وبدلا من الكاهن أو العابد أو أيا كان اللقب الديني المكلف بالحفاظ عليها؛ أصبح لقب آخر من رعاها باسم (حافظ الجمرة) والتي لدهشتهم وفي إحدى المعارك بالأسلحة النارية التي كان يمتاز بها الفارس الإسباني على قبائل أصحاب الأرض، اكتشفوا أن الجمرة هي من ترعى حاميها وليس العكس، في المعركة الشهيرة (ظل الذئب) بينما يفر بها حافظها، وقع في كمين لمقاتل إسباني قوي مستلا سلاحه الناري، وبسبب الجمرة تم انقاذه، بطريقة لم يدركها الحافظ أو يعلم سرها، ولكن ما جاء في مذكراته؛ أنه تهيأ لمقتله بسلاح الرجل الإسباني الذي يطلق لهبا قاتلا، ولكن فجأة لمعت الجمرة وامتد ضوءها الأزرق بكثافة أغشت العيون وأحاطت به، ولا يدري هل مات أم نام أم فقد الوعي، ولكن فوجيء بنفسه في موضعه والوقت هو إشراقة الصباح، فاغتالته حيرته؛ أين ذهب عدوه الإسباني الذي هدده وهل قتلته الجمرة؟ فأين جثته؟!

وإن كان الحافظ قد نام أو فقد وعيه، لمَ لمْ يقتله مصارعه، وهل حاله الآن هو ما بعد الموت؟! فما سر بقاء الجمرة معه وما تبعه الإسباني إلا طلبا لها!

كان يقينه أن حادثة مواجهة الموت وقعت قبيل مغيب الشمس، وبما أنه الآن يرى إشراقها، فحتما فاتته أحداث ليلة كاملة لا يدري عنها شيئا.

تلك كانت قناعته، ولكن مع البحث عن تفاصيل يوميات هذا الحافظ ومقارنة دقائق الأيام مع ما ورد من تاريخ القبيلة التي أنقذته بجمرته من الكهف الذي لجأ إليه؛ وقعنا على مفاجأة مذهلة؛ فالحافظ لم تفته ليلة من ليالي الأرض، بل لقد اكتسب يوما جديدا عليها، فقد عاد بالزمن إلى صباح نفس اليوم الذي يعيشه، ولهذا كانت المنطقة خالية إلا منه، فالفارس الذين اختفى أمام عينيه قبيل مقتله، هو الآن في غمار المعركة الكبرى مع قبيلته قبل فوزهم وإبادة القبيلة!

وبالتالي كانت تلك الجمرة على حسب تسميتهم لها ليست سوى ناقل زمني فضائي غير معلوم الكيفية!

هتفت ماريانا قائلة:

- واو.

في حين نطق عامر بصوت شاحب قائلا:

- هل تريد منا حراسة تلك الجمرة أو الناقل الفضائي؟

ابتسم موريس بهدوء وقال:

- صبرا حتى نصل إلى منتهى القصة.

ابتلع عامر ريقه بصعوبة دون رد، في حين اعتدلت ماريانا في جلستها وقد هبطت بساقها عن الأخرى ومالت قليلا نحو الأمام في اهتمام وتحفز متضاعفين.

واستكمل موريس قصته قائلا:

- كان هناك خمس جمرات أو نواقل زمنية فضائية، اختفى منها تماما ثلاث دون معرفة أو وجود أي أثر لهم، وبعد آلاف السنين ما تبقى غير اثنتين، تتناقلان على مر التاريخ، حتى وصلتا إلى (منظمة اليد الواحدة)!

فبينما نجح الأسبان في إحباط كل وسائل الهجوم على سفنهم المحملة بالذهب المنهوب، وعند بحث المنظمة عن وسائل جديدة مبتكرة للصراع، جاءتهم هذه الهدية على طبق من ماس متلألىء، الكاهن أو الحافظ الذي جاء بالجمرة إلى مؤسس المنظمة أخبره أنها تقضي على الأعداء بشكل غير معلوم، وربما ذلك بقوة سحرية تحفظ الحامل لها، ولا أحد يعرف كيفية تشغيلها، ولكن لم يمت حاملها أبدا، وجاءت المذكرات السرية للمنظمة لتكشف لنا كل وسائل استخدامها، والتي كانت في البداية بغرض حفظ المقاتلين، ولكن تطورت وأصبحت أحد وسائل الانتقال إلى عرض البحر في مسار سفن العدو، ولم يدركوا بالطبع أنها كانت تنقلهم زمنيا إلى ما قبل

المعركة التي انغمسوا فيها، وبعد سويعات تأتي هذه السفن التي قاتلوها من قبل، ولكن باستعداد مبتكر ومن اتجاه غير متوقع أو مكشوف، ونجحوا بها في إغراق الكثير من سفن العدو بالفعل.

ولكن في إحدى المعارك نجح الأعداء في اقتناصها والفوز بها، واختفت للأبد بين أيديهم، وتم اكتشافها بالصدفة في خمسينات هذا القرن بيد الأمريكان وهم يحاولون استثمار قدراتها في تطوير طيرانهم بمحاولة السفر بسرعات متضاعفة فتكون القفزة الزمنية أكبر، ولكن مع سقوط الطائرة الحاملة لها دون القفزة المطلوبة لسبب مجهول، اختفى ذلك الناقل الزمني بطريقة عبثية لا يعلمون سرها حتى الآن، وكانت محفوظة في رعاية رجل بسيط اسمه روبرت، ظل عشرات السنين لا يعلم شيئا عن قدراتها إلا بعد اتصالنا به وضمه لمنظمة اليد الواحدة.

نطق عامر بلهفة قائلا:

- وبهذا خير من يحمل هذه المعجزة ويحافظ عليها؛ هو من رعاها كل تلك السنين؛ روبرت.

قالت له ماريانا باستخفاف:

- وهل الغرض هو حفظها وفقط أم استثمار قدراتها؟

اتسعت عينا عامر وارتجف قلبه وقد فهم المقصود، سيخوض معركة ما مستثمرا قدرات هذا الناقل، ولكن هل ضاقت الأرض بهذه المنظمة التعيسة، لتأتي به هو لينغمس في معركة متفردة بهذا السلاح العجيب النادر!!

حتما لديهم عسكريون أو مقاتلون أشداء هم أولى بذلك؛ وهو يرتجف فقط لمجرد تخيله أنه سيواجه مخاطر كبرى قادمة!

هّمَّ أن ينطق، ولكن استبقه الدكتور موريس قائلا:

- صبرا يا ذوي الدم الحار، وكفوا عن التوقعات والاستنتاجات المسبقة، قصتنا لم تنته بعد.

ابتسمت ماريانا واعتدلت بظهرها للخلف وقالت بحماس:

- ننتظر البقية.

في حين عاد الأمل لقلب عامر أن تأتي بقية القصة بما يخلصه مما يخاف، واكتفى بالنظر نحو موريس مترقبا استكمال المحاضرة!

قال موريس مشفقا:

- هل آتيكم بأي مشروب أولا لالتقاط الأنفاس.
صرخ فيه الاثنان بصوت واحد متطابق قائلَين:

- لا.

اتسعت ابتسامته واستكمل قائلا:

- قلنا لكم بأن ثروة اليد الواحدة كانت تحوي ناقلين فضائيين، علمتم مصير الأول، فأين الثاني؟

جاوبه الصمت المتسائل منهما، فاستطرد قائلا:

- اشتهرت منطقة مضيق جبل طارق بغرق مئات السفن فيها في ظروف أشد غموضا من مثلث برمودا الشهير.

وكان من أهم تلك السفن؛ واحدة محملة بالذهب المنهوب من القارة اللاتينية، بعد المذابح الشنيعة والإبادة شبه التامة لأهلها الأصليين.

وفي عام ١٨٠٤ أبحرت السفينة المسماة (نويسترا سنيورا دي لاس ميرسيدس) محملة بالكنوز المعتادة، لتلحق ببعض زميلاتها في قاع البحر عند مضيق جبل طارق، وظلت قابعة في الظلام حتى عام ٢٠٠٧، إلى أن قام فريق المغامرين الأمريكان التابعين لشركة (أوديسا للاستكشافات البحرية) بالعثور عليها.

وبعد مغامرة أفلحوا فيها بالإفلات من مطاردة السلطات الإسبانية، وصلت الكنوز إلى الأرض الأمريكية.

ولم تصمت الحكومة الإسبانية فلاحقتهم بالقضاء الدولي، ونجحوا عام ٢٠١٢ في الحصول على أحقية هذه الكنوز المقدّرة تقديرا أوليا بـــ ٥٠٠ مليون دولار، وأعلنوا أن هذه الكنوز سوف يتم عرضها بأحد المتاحف الإسبانية الكبرى، ولم يتم ذلك حتى الآن!

ما سر هذه السفينة تحديدا؟

ولم لاحقتها إسبانيا بهذا الإصرار؟

وهل كانت الكنوز الذهبية هي الشيء الوحيد الثمين فيها حقا؟

قالت ماريانا باستخفاف:

- بالطبع كانت الجمرة الثانية عليها!

أشار موريس باصبعه نحوها مؤكدا، نعم بالفعل، ولكن كيف تصل تلك الكنوز بيد مكتشفيها إلى الأرض الأمريكية ومعها الناقل الفضائي، ثم يعود مرة أخرى إلى الحكومة الإسبانية بسهولة هكذا؟

هل بعد فقدهم للأول بيد روبرت سيتهاونون مع الثاني والأخير؟!

هزت ماريانا رأسها قائلة:

- بالطبع لا.

قام موريس واقفا وقال:

- هذه قصة كبرى تنافس الأفلام الهوليودية شراسة وسرعة، وتفوق الأفلام الإسبانية غموضا ومفاجآت، لذا سنستكملها بعد نيل قسط من الراحة.

وقفت ماريانا وقالت بعناد:

- لن نبرح هذا المكان حتى تقص علينا بقية القصة، هل ستتركنا هكذا لنخرج بما معنا من أسرار فيجدنا المتربصون وينالون منا؟

قهقهه الرجل وقال:

- ومن قال بأنكما ستغادران.

نطق عامر للمرة الأولى بقلب واجف وقد استعاد ذكرى مقابلته الأولى في كولومبيا مع الرجل الأكاديمي الذي كشف له سر منظمة اليد الواحدة، نطق قائلا:

- إذا سنخرج من هنا إلى أرض المعركة مباشرة.

هز الرجل رأسه مؤيدا وقائلا:

- نعم بالفعل، وكف عن تخوفاتك يا عامر، لقد تدارسنا كافة التفاصيل بكل صغيرة وكبيرة في الخطة، ولن تتعرض لمخاطر تهدد حياتك؛ إلا ولها وسائل خروج منها متعددة البدائل.

بعينين زائغتين هز عامر رأسه آملا أن يكون كلامه صدقا وحقا، في حين قالت ماريانا برجاء:

- ألا يمكنك التحمّل قليلا ولننتهي من هذه القصة، لا أحبذ هذا التشويق!

بهدوء رد عليها قائلا:

- عليك الاعتياد منذ هذه اللحظة أن جميع طلباتك غير مجابة كالسابق، هل تريدان غرفة واحدة؟

نظرت ماريانا نحو عامر وقالت عابثة:

- ما رأيك؟

- لا بالطبع.

فأطلقت ضحكتها المرحة وهي تقول:

- أنت الخاسر.

وانصرف الجمع بمشاعر متباينة، موريس راض عن التقدمة التي قام بها، عامر يتسائل لمَ هو تحديدا لهذه المهمة، وهل يمكنه الرفض؟ وماريانا يحوطها الشغف وشعور بروح المغامرة التي تعشقها وكانت منغمسة فيها بجميع ألعابها، وقد آن الأوان أن تعايشها بروح حقيقية، غير مبالية بأي عواقب لذلك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عام ٢٠١٢ بالولايات المتحدة الأمريكية، الوفد الإسباني يبيت ليلته في أحد الفنادق بالغ الفخامة، والذي يعلمون علم اليقين أنه مزود بجميع وسائل التنصت، غدا هو اليوم المرتقب لتسلم الكنوز المنهوبة من السفينة المسماة (نويسترا سنيورا دي لاس ميرسيدس) والتي نالها الغرق قبالة مضيق جبل طارق عام ١٨٠٤!

احتفظ الوفد الإسباني بكافة التعليمات المشددة عند تسلّم ما سيتم تسلّمه، وفرزه، وفحصه ، دون الإفصاح عن أهم ما يسعون خلفه، فقد حاولت الحكومة الأمريكية المفاوضة معهم على شراء تلك الغنيمة بما يفوق ثمنها الفعلي، ولكن كان الرفض المعلل بأن هذه ثروة وطنية لا يمكن التفريط فيها مهما كان الثمن، وكل منهما ينظر نحو الآخر نظرات مبطنة؛ فكلاهما يدرك أن تلك السنين التي شهدت غرق السفينة إنما كانت عهد سرقة ونهب لمقدرات شعوب أُبيدت بأيديهما، ولكن يبدو أنها مواثيق غير مكتوبة تعاهد بها اللصوص كشرف مفتقد بينهما!

وفي صباح اليوم التالي، دخلت مصفحتان في حماية الشرطة الفيدرالية إلى القبو السفلي للفندق، ومنه تم تفريغ الصناديق شبه البالية ورصها، وقد قام الفريق الإسباني بتشويش كل الإشارات الإلكترونية القريبة وسط الحماية المكثفة في الداخل والخارج، وبهدوء وحركات مدروسة بمنتهى الدقة تشمل حتى نظرات الأعين، تحرك الفريق الإسباني ومعه صورة ضوئية لوثيقة ترصد بدقة ما تحويه تلك الصناديق؛ التي تشمل سبائك الذهب اللامعة رغم مئات السنين! وبعيني خبير محنك التقط قائد الفريق علامة حرف (X) على جانب الصندوق المراد، فلم يذهب نحوه مباشرة، وإنما تحرك بما لا يوحي بأهميته حتى وصل إليه بشكل تلقائي بلا لهفة ولا ترقب ظاهرين؛ وإن كان يشتعل بهما!

بدأ في إخراج محتواه بمنتهى البطء والتريث، بينما ضربات قلبه تتصاعد، وكاد أن يقفز صارخا، فقد ظهرت كرة الرصاص المرجوة فيه؛ والتي كان يرتعب

من غيابها، أخرجها ببطء كعادته ووضعها بإهمال على الأرض بجوار بعض أحد الصناديق، فسأله أحد الأمريكان قائلا:

- وهل كرة الرصاص هذه كنزا وطنيا كذلك؟

باستخفاف قال له:

- كما قلنا لكم سابقا، حتى المسامير التي تحملها هذه الصناديق هي أهم كنوزنا بالفعل.

وبعد سويعات كانت الطائرة الإسبانية الخاصة تحلّق فوق المحيط في أهم رحلاتها نحو إسبانيا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بينما تحلق الطائرة في رحلتها الطويلة من الأراضي الأمريكية إلى إسبانيا، وبعد الطيران وسط أجواء المحيط اللامتناهي على مد البصر، لم تلح أي مخاطر ظاهرة أو خفية لقائد الفريق، فتنهد بارتياح، وآن له أن يجري مكالمته المشفرة إلى قادته، وهو يهتف فرحا:

- لقد تمت المهمة بنجاح، لم يعد يهددنا سوى التوقف للتزود بالوقود في فلوريس.

تلقى عبارات التهنئة بالنجاح، والتأكيد على عدم الاطمئنان إلا بعد الوصول إلى مدريد، وأغمض عينيه باطمئنان، فحتى لو تم التقاط المكالمة، فلم يعد بينه وبين جزر فلوريس الساحرة سوى عشرات الدقائق، فلن يلحق به أي تهديد، ومن المستحيل أن يكون الخطر كامنا له هناك بين مروجها الخضراء!

ولكن عَبْر الأثير وفي معمل إلكتروني خاص كبير، تم فك شفرة المكالمة بأحدث وسائل التنصت عبر الأقمار الصناعية، وبعد إبلاغ القادة بفحواها، كانت التوصية استمرار الرصد الكامل لكل شيء!

وفي بطن الطائرة الخاصة المحملة بالكنوز التاريخية، كانت تستقر الصناديق الأثرية بمنتهى الثبات، ويرصدها حارسان تم التنبيه عليهما بتجنب حتى النعاس الخفيف، كأنما سيخرج منها أشباحٌ إن فعلا!

وما إن هبطت الطائرة على الممر المخصص لها بالمطار الصغير للتزود بالوقود، حتى تحرك كل من فيها بتكتيك مدروس مسبقا؛ أحد الحارسين للصناديق في بطن الطائرة خرج ليقف أمام الباب المؤدي إليه وهو يمسك سلاحه بكلتا يديه متأهبا للإطلاق بلا تردد، والآخر ظهره للخارج وعيناه ترصدان الصناديق جيدا، وبقية الطاقم الأمني تم انتشاره بأنحاء الطائرة وحولها ولديهم تحفز وحماس كفيلان بخوض معركة حربية كبرى!

وفقط هبط مساعد الطيار ليشرف على العملية الفنية للتزود بالوقود، وبقي الطيار ليراقب مؤشرات الطائرة ويديرها ، نصف ساعة من الترقب والتحفز وأخيرا أغلقت الأبواب بإحكام ودارت المحركات، وحلقت الطائرة في الأجواء، وحطت في مطار مدريد على مهبط مخصص لها كثيف التحصين والحراسة، وفي أجواء شبه احتفالية وأسطورية؛ أخيرا قد وصل الكنز بعد تأخره مئات السنين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم الإضاءة الخافتة جدا، والهدوء المغلف بالصمت التام في ذلك الحي الراقي الذي يقطن به الدكتور موريس، إلا أن النوم قد فجر في خصومته لعيون عامر!

تقلّب كثيرا يمينا ويسارا وحاول صرف ذهنه عن التفكير في كل ما ينتظره في الغد، ولكن رغما عنه كانت تتضاعف خشيته ورعبه من المجهول الذي ينتظره، القصة حتى الآن جميلة وممتعة وتجارب غريبة يفخر بها كل من خاضها، ولكن هذا هو الحد الأقصى لما يمكنه، فليتوقف هنا وكفى، في حديث الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم عندما سُئِل: أيكون المؤمن جبانا قال: «نعم»، الجبن والخوف مشاعر إنسانية طبيعية وربما فطرية، الشجاع يستحق الفخر والمدح وتصدّر الصفحات الأولى من التاريخ، ولهذا فهم قلة متفردون، ليس عيبا كبيرا أن تكون من القطيع الطبيعي الذي تتشكل به بقية تفاصيل اللوحة والتي تمر عليها الأعين بسرعة دون ملاحظة لها، كزهرة جانبية في لوحة كبيرة يتصدّرها بطل خارق يحمل سيفه بيد وتتدلي رأس عدوه من اليد الأخرى!

سيحاول في الغد قبل استكمال موريس لقصته الشائقة أن يعلن اعتذاره التام عن استكمالها، ولتبحث منظمة اليد الواحدة عن غيره، وإن كانت هذه العملية هي المؤهل له لتولي الزعامة فهو قد رفضها قبل التكليف بأي مهام حتى ولو بسيطة!

ولكن...

وجود ماريانا عائق كبير يقف بالمرصاد لعزمه هذا!

لقد تعدى الأمر مجرد الانجذاب الفطري لمفاتن أنثى بصورتها البراقة شديدة الجمال!

لقد ارتبط بها بمحبة قلبية حقيقية، محبة زكاها التغيير الكبير الطاريء عليها، وقربه الشديد منها أغلب أوقاته في غربته وعزلته عن بقية المؤثرات التي كانت تحجبها عنه من قبل، وأهمها حصار زوجته وأبيه!

لقد رفضت تركه وأصرت بعنف على مشاركته مسيرته، وفشلت محاولات تجنيبها المخاطر المحتملة؛ والتي حسب زعمهم لديهم الكثير من الخطط البديلة للتغلب عليها!

فكيف سيكون حاله أمامها عندما يتخاذل هو ويعلن جبنه الشديد؟!

لقد قالتها صريحة أنها جاءت تتلمس الأمن والطمأنينة بجواره، فإذا به يفر من الساحة في أول مواجهة قبلت هي بها لأجله!

ظلت الأفكار والمخاوف تتناوب على عقله، وتعزف عزفا صاخبا بضربات قلبه، حتى حان وقت صلاة الفجر، فقام لصلاة خاشعة بللت دموعها جفنيه، عقبها اتصل بوالده يطلب منه كثيف الدعاء لأنه سيمر اليوم بامتحان صعب جدا، وبعدها تحاور مع عبير التي طلب منها الدعاء كذلك!

وأخيرا استسلمت عيناه بعد تثاقلهما بمطالب الجسد الطبيعية، وانغمس في نومه ليستيقظ بعد ساعتين فقط بمنتهى الانتباه المنافي لقلة راحته ونومه!

كانت الساعة ما زالت السادسة والنصف، فتوضأ وصلى الضحى وركعتي الحاجة أن يلهمه الله الصواب وأن يوفقه في كل شأنه، ولأول مرة منذ أمد تذكّر قراءة القرآن من المصحف المرافق له كميثاق يربطه بوالده، فبدأ الترتيل بصوت هاديء شجي والآيات التي اختارها بعشوائية كانت كأنما تنزلت له خصيصا في يومه هذا، فقد بثت فيه الكثير من الطمأنينة مع الخشوع ورجفته اللذيذة التي افتقدها كثيرا بانغماسه في لذة مشاعره الفطرية التي تبثها ماريانا فيه بقوة!

وفي التوقيت نفسه كانت توضع اللمسة الأخيرة التي ستشعل فتيل الانفجار الكبير الذي سيحدثه عامر برفقة ماريانا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفت سيارة سوداء شديدة الفخامة معتمة الزجاج من الخارج، هبط منها السائق مسرعا ليفتح الباب الخلفي، ليهبط منها (خوليو) بأناقته المشهور بها، ببدلته داكنة اللون وكذلك قميصه ورابطة العنق، وحذاء شديد اللمعان، أغلق زر السترة بمنهتى الأناة، وأزال غبارا وهميًا بطرف إصبعه عن كتفه، ورفع رأسه وانطلق إلى الباب ليفسح له الحارس الأول الطريق متوجها إلى مكتب الاستعلامات، أخرج شارته التي ما إن رآها الموظف شديد الأناقة كذلك حتى اعتدل في وقفته وهو يرحب به ويده تضغط على زر خاص، ارتفع رنين ذاك الزر في مكتب مدير المبنى الذي انتفض واقفا وخرج بسرعة ليلتقي بـ (خوليو) في منتصف الطريق وهو يهتف بالترحاب به.

بملامح جامدة قال خوليو:

- هل من جديد بخصوص كنزنا؟

كان المدير يسرع خطوته ليلاحق خطوات خوليو الواسعة وهو يقول:

- ما زال العمل على قدم وساق وبمنتهى الأناة كما طلبت.

- رائع، سنلقي نظرة سريعة وانطلق لبقية مهامي بالخارج.

- مرحبا بك في أي وقت.

دخلا إلى قاعة كبيرة تحوي لوحات فنية موزعة بنظام يسمح بمشاهدتها في شكل دائري، وانسلا منها إلى مكتب داخلي يحوي حائطين كاملين يعجان بالكتب من القمة للقاع بدون فرجة واحدة تخلو منها!

تأكدا من إحكام غلق الباب خلفهما بما لا يسمح بفتحه، ووقف الحارس خلفه متأهبا، وتوجها إلى أحد أركان تلك المكتبة الضخمة، وسحب المدير كتابا ضخما يعلم موضعه جيدا، ليضغط زرا خلفه، وإذا بحائط منهما ينقسم إلى نصفين إلى الداخل ليفتح لهما الطريق إلى قاعة تعانق الأفق في اتساعها!

على الجوانب تعج بأجهزة الحواسيب التي لا تخلو من العاملين عليها، وفي كل ركن يوجد منصة لامعة وكبيرة يتراص عليها بعض العملات الذهبية التي يقوم بعض الأفراد بصيانتها بمنتهى الحرص والتأني.

سار خوليو بمنتهى الثقة برفقة المدير حتى وصلا إلى خيمة تشبه خيمات العزل الطبي، وارتدى كل منهما بدلة العزل الكاملة، ليلجا داخل الخيمة والتي بمنتصفها توجد منصة رخامية تميزت بدقة النقوش عليها كأنما هي معدة لعرض جوهرة ثمينة أعلاها، وفوقها صندوق شفاف كريستالي سميك، وعلى وسادة مخملية ترقد بطمأنينة تلك الكرة اللامعة التي تتوهج بلونها الأزرق.

وفي أحد أركان المنصة ضغط المدير زرا خفيا لتظهر له لوحة رقمية يعلوها حساس للبصمة وضع سبابته فوقها لتتلون باللون الأخضر، ثم ضغط أرقام الكود السري؛ لينقسم الصندوق الكريستالي نصفين متباعدين لتتألق عيني خوليو وهو يقترب من الكرة التاريخية بمنتهى التوجس والانبهار، كان مرتديا لقفازين معقمين، فمد يده متناولا الكرة وجسده يقشعر على أثر ملمسها الذي يحجبه قافزيه!

قرّب الكرة لعينيه وأخذ يقلبها بحركة دائرية حتى وقعت عيناه على نقطة فيها لتتسعا دهشة واستنكار وهو يهتف قائلا:

- يا للهول، ما هذا؟!

فجأة انهار جليد الثقة المغلف لمشاعر المدير لتتسع عيناه بتوجس وهو لا يدري ما الخطب، في حين اندفع خوليو خارج الخيمة حاملا الكرة التاريخية بلا أي مراعاة لبروتوكول التعقيم، ليذهب إلى إحدى موائد الأدوات متناولا عدسة مكبرة ليفحص تلك النقطة التي جذبت انتباهه، لم يستغرق أكثر من ثوان معدودات حتى أطلق سبة قبيحة وهو يقول:

- أطلق إنذار كود ١٣ بسرعة.

ارتعد المدير وهو يقول:

- ماذا هناك؟

نظر خوليو إليه بغيظ وهو يقول:

- لقد سُرقت منكم الكرة الحقيقية وهذه مزيفة أيها المخبولون.

وفي ثوان تم الاتصال بجهة أمنية مختصة أبلغت كل المطارات بسرقة كرة كريستالية تتميز بلونها الأزرق مع إرفاق صورة لها، صدرت الأوامر باحتجاز أي فرد مهما كانت مكانته بالمطار لمجرد الاشتباه؛ حتى تأتي فرق أمنية مخصصة لهذا الشأن لتحسم الأمر.

والتفت خوليو بنظرات نارية نحو مدير المبني قائلا:

- لن أغادر إلا بعد مراجعة كل وسائل الحراسة والكاميرات والتحقيق مع الجميع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم نكهة القهوة المميزة، ورائحتها المعبقة التي تزيل أي خدر بالجسد بمجرد استنشاقها، إلا أن عامر لم يستشعر أيا من ذلك؛ وهو يجلس في أحد قاعات مطار مدريد برفقة ماريانا التي تتألق بكل سحر وجمال في ملبسها الزاهي بألونه البراقة، وشعرها الناعم الطويل الذي تنفضه بين الفينة والأخرى بهزة رأسها لتبعد مساره عن وجهها.

أيضا انعدم كل هذا السحر وتبدد أثره جراء قلقه ورعبه الداخلي، هو الآن يفصله عن النهاية حسب ظنه مجرد خطوات، يتعجب كيف لا يكتنف ماريانا ذرة قلق واحدة بما أنها شريكته الآن في الجريمة!

ولكن قد يكون ذلك بسهولة تفلتها وإنكارها بمعرفة ما يدسه في حقيبته الآن، وحتما بنفوذ وأموال أبيها سيمكنها الخلاص، أما هو فعربي بسيط بدون أي مبررات ومع مشاعر الكراهية الدفينة التي لمسها في أكثر من موضع، سيوصم حتما بالجرم الشديد، ويناله العقاب الأليم فور الإمساك به.

لا يستسيغ حتى الآن فكرة وضع تلك الكرة الفضائية في حقيبته العادية للمرور بها؛ رغم تأكيد موريس اليقيني أن الأمر يسير، وإن ظهرت على جهاز الكشف عن المعادن ستبدو كبلورة كريستالية، ولن يخطر ببالهم أبدا أنها الكرة التي تتصارع عليها كل قوى الكون الآن، وأن قوة الخطة وعبقريتها دوما تكمن في بساطتها؛ شاب عادي بسيط برفقة فتاة جميلة، يضع الكرة في حقيبته العادية بمنتهى البساطة والتلقائية، أي ذرة شك تلك التي ستناله؟!

لاحظت ماريانا قلقه الزائد، وفي محاولة منها لتشتيت مشاعره السلبية قالت:

- ألا ترى أن موريس قد غدر بنا عندما توقف عن استكمال قصصه الأسطورية عن الكرة التاريخية هذه؟

بمنتهى التوتر رد عليها قائلا:

- لقد كان مسوغه أن وقت التحرك قد حان، ولا فرصة لدينا لسماع المزيد، ويكفينا ما نعلم الآن!

- ولكنه لا يكفيني.

ابتسم بمرارة رغمًا عنه وهو يقول:

- يكفيني ما أنا فيه الآن!

- وكيف حال زوجتك؟

أصاب سهمها هدفه بمنتهى الدقة!

فقد تبدد كل قلق عامر وتوتره وارتبك وهو يجمع بين نقيضين حين قال بتردد:

- هي بخير والحمد لله.

بمنتهى الهدوء وبنظرات ثاقبة واهتمام حقيقي قالت:

- متى كانت آخر مرة تحدثت معها؟

بنفس التردد قال:

- صباح اليوم قبل انطلاقنا.

تنهدت وعادت بظهرها وقالت بنبرة لا يمكن استنباط ما وراءها:

- رائع جدا.

حار عامر في مقصدها من سؤاليها هذين، ورغم التناقض وصراع مشاعره المعتاد إلا أنه وفي شعور عجيب؛ لم يكن حريصا على دفع أي أفكار سلبية قد

تموج بها رأس ماريانا الآن!

نظرت نحو ساعتها ونهضت قائلة بجمود:

- هيا لقد حان الوقت.

رغما عنه ارتعد رعدة خفيفة وقد آن له الصعود إلى منصة الشنق!

ترى ما هو شعور من يعتليها بشكل صريح؟

تتقدم في خطوات هي الأخيرة، تتنفس أنفاسا تعلم بتعدادها التناقصي، بعد ثوان سيتكشف لك عالم جديد لا تدري كيف سيكون، وهل ستكون الرحلة إليه ذات آلام لا قبل لك بها أم لا؟

ما الذي ستذكره في هذه اللحظة من بين آلاف الذكريات والمشاعر والبشر الذين تغص بهم حياتك؟!

لذا كان من العجيب أن عبير هي التي تواردت إلى خاطر عامر وهو يتقدم بخطوات متثاقلة خلف ماريانا، تساءل إن كان قد ظلمها بما فعل في مغيبها أم لا؟!

تمنى لو اتصل بها يطلب منها المغفرة ويعدها بعدم تكرار ذلك!

اقتربا من لحظة الفحص، فتوقفت ماريانا ليتقدم قبلها، نظر نحوها بتردد وهو يهم أن يقول لها:

- تريدين فرصة الهروب لك إن أمسكوا بي؟!

ولكن لم يفه بحرف وتقدم نحو جهاز الكشف عن المعادن ليضع حقيبته، ووقف مترقبا وجه الضابط المتابع لها خلف شاشته، كان عامر يقبض يديه ويفردها بتوتر كبير وقد تزاديت أنفاسه، ولم يكن يدري أن في المطارات تنتشر كاميرات وشاشات أمنية دقيقة خلفها اختصاصيين نفسيين لمتابعة سلوك المسافرين، من يظهر عليه الترقب أو التوتر الشديد بمثل ما يبدو عليه؛ يتم التدقيق معه بقوة؛ بل ربما يتم استدعاؤه للتحقيق معه تحقيقا عاما قد يقع بسببه في المحظور ويكشف ما كان خفيا تحت ضغط مشاعره السلبية وجهات التحقيق معه!

لذا في السماعة التي يضعها ضابط التفتيش بشكل ثابت في أذنه، جاءه تنبيه بتشديد فحص حقيبة عامر، لم يكن الضابط في حاجة لذلك، فقد كانت الكرة الكريستالية ظاهرة له، فنادى علي عامر طالبا منه فتح حقيبته، نبتت حبات العرق الغزير على جبهة عامر وهو يقول بتردد:

- لماذا؟ ماذا هناك؟

- افتح حقيبتك بعد إذنك.

بيد تصارع الشلل فتح عامر حقيبته، ليشهق الضابط وهو ينادي مساعديه بسرعة للإمساك به.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ارتكن عامر برأسه إلى جانبه الأيمن وهو يعتصر مرارة وحنقا، لقد اشتعلت أعصابه رعبا وخوفا بدرجة لم يلمسها من قبل، ها هو كما توقع؛ وفي الخطوة الأولى يتم الإمساك به بصورة مباشرة ويسيرة، أين المخططات العظمى والتطمينات الكبرى التي غذوه بها وأكدوا عليها مرارا وتكرارا؟!

لقد كانوا بالثقة المفرطة التي أهملوا بها تدريبه على المواجهة أو الصمود في حال الإمساك به أو كشفه!

أي منظمة عالمية تلك؟!

ولكن..

لقد كان بيده اكتشاف مدى اهترائهم هذا؛ حين لمس بقوة شطط تفكيرهم الفكاهي عندما طلبوا تنصيبه زعيما لهم!

لم يكن يدري ما التصرف السليم والقوي، العجيب أنه لم ينتابه سوى شعور واحد قوي وصادق؛ ألا وهو محاولة تجنيب ماريانا التورط معه!

التفت ينظر إلى يساره نحوها بود حقيقي، هذه اللحظات الفارقة هي التي تكشف حقيقة المشاعر وقوتها، كانت ماريانا تطلب من المضيفة كأسا من الويسكي!

أجابت المضيفة طلبها بابتسامتها الساحرة، ونظرت نحو عامر مسائلة إن كان يريد الويسكي معها، ابتلع ريقه بصعوبة وتمعرت ملامحه رغما عنه واكتفى بطلب عصير البرتقال فقط.

كانت ماريانا تتجرع مشروبها باستمتاع جلي، ولم يتحمل عامر مشهدها هذا، فأخذ يرشف مشروبه وهو يتابع كثبان السحب المتتابعة بالخارج.

ويبدو أن المشاعر السلبية تجر بعضها بعضا، فمع امتعاضه من احتساء ماريانا للخمور، تصاعد الغيظ بداخله بسبب ما فعلت بالمطار؛ رغم أن ذلك كان فيه نجاته!

عندما صرخ الضابط مناديا الحرس المرافق له بسرعة القبض على عامر، ارتعد الأخير، واتسعت عيناه، وارتبكت كل مشاعره، ولم يدر ما يفعل، نظر

نحو ماريانا ليشير إليها بسرعة الاختفاء، ولكن وجدها تتوجه بمنتهى الثقة نحو ضابط الفحص وهي تقول له بمنتهى الجدية:

- ماذا هناك؟

سألها الضابط بمنتهى الصرامة:

- وما شأنك به؟

- أنا رفيقته.

ومع اقتيادهما معا نحو مكتب الأمن، همس لها عامر قائلا:

- ماذا فعلت؟ كان بإمكانك الاختفاء!

قالت بمنتهى البساطة:

- ولِمَ الاختفاء؟

هتف بهم أحد رجال الأمن بوجوب الصمت فلزماه، وفي المكتب المتسع جلسا متجاورين وعلى جانبيهما رجلي الأمن منتظرين ضابط التحقيق، الذي لم يتأخر حين دخل إليهما بوجه متجهم، ووضع يديه بوسطه ونظر نحو عامر بصرامة قائلا:

- هل نبدأ برقي وننتهي به، أم ستجدي معك الوسائل الأخرى؟

وقفت ماريانا وقالت بصرامة:

- لو سمحت نريد اللحاق بطائرتنا، أخبرنا ماذا هناك؟

نظر الضابط نحوها بغيظ، وسحب حقيبة عامر وأخرج الكرة منها وهو يقول لها:

- هل تعرفين ما هذه؟ أم أنك شريكة له في سرقتها؟

عض عامر على شفته السفلى بمنتهى الخوف، ولكن اتسعت عيناه دهشة وذهولا وهو يشهد رد فعل ماريانا؛ التي ضحكت ساخرة وقالت:

- إذا كان محرم الخروج بها من البلاد لِمَ تبيعونها إذا، ونعم لقد اشتريت مثيلتها، ها هي.

وفتحت حقيبتها لتخرج منها كرة مشابهة تماما للكرة الأصلية!

أدرك عامر الآن بساطة الخطة وعبقريتها، وكيف كان موريس صادقا معه حين أخبره بالدراسة الدقيقة لكل شيء.

ولكن أغاظته جدا تلك الخطة الاحتياطية وعدم معرفته بها، وكذلك صمت ماريانا وعدم تطمينه بأي شيء أو بما هي مستعدة له!

ارتبك الضابط بقوة وهو يمسك بالكرتين ويقارن بينهما، وأخذهما معه ليجري اتصالا داخليا، وعاد بعد نصف الساعة ليصرفهما دون كلمة اعتذار واحدة!

أنهى عامر مشروبه وهو ما زال غير مصدق للبساطة التي عبروا بها هكذا!

ولكن ما يهمه أن الخطوة الأولى مرت بنجاح، ولهذا بدأ يستعيد بعضا من ثقته وطمأنينته بأن هناك تخطيط دقيق ورائع بالفعل.

كانت ماريانا تركن بظهرها ورأسها للخلف مغمضة عينيها بمنتهى الانتشاء، وفتحتهما بتكاسل لترد على عامر الذي ساءلها قائلا:

- ألم يكن من الأفضل اختيار رحلة مباشرة من مدريد إلى كولومبيا، بدلا من النزول ترانزيت في مطارين هكذا؟

- هل أخبروك بأني الرأس المدبر لكل ذلك؟

شعر عامر ببداية ثمالتها، فامتعض مجددا وقال بخفوت:

- آسف.

ضحكت بعبث وقالت بصوت بطيء:

- لا تجزع هكذا، قد تكون سرعة التحرك التي أخبرنا بها موريس هي التي تسببت في اختيار أول رحلة ممكنة، ومعرفتهم في المطار باختفاء الكرة وتتبعها هكذا؛ دليل على وجوب التحرك أبكر من ذلك.

شجعه كلامها ليستطرد في تساؤلاته قائلا:

- ولكن هل يعني ذلك أن بقاؤنا في مطار نيوآرك الأمريكي أربع ساعات لا تمثل خطرا علينا هناك؟ والله أعلم أيضا بما قد يحدث في مطار مونتريال الكندي بالخمس ساعات التي سننتظرها فيه كذلك!

ربتت على كتفه وضحكت بعبث مجددا قائلة:

- لا تخش شيئا يا صديقي أنا معك، والآن دعنى أنم قليلا.

واتبعت جملتها بإراحة رأسها على كتفه، ورغم الرائحة العطرة المنبعثة من بين ثنايا شعرها الطويل والناعم إلى أنف عامر، إلا أنه تمعض مجددا وهو يستنشق قليلا من رائحة الكحول المنسابة من فمها.

لم يملك حق الاعتراض فلزم الصمت، ولكن لم ينتش أو يناله الحبور بنومتها تلك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ارتشف عامر رشفته الأخيرة من قهوته في صالة الانتظار بمطار نيو آرك الأمريكي وهو يتمنى مرور الوقت كالبرق حتى تنتهي هذه الرحلة المقيتة، يتراءى له آلاف الطرق لتهريب تلك الكرة الفضائية ونقلها لأي مكان بشتى بقاع العالم، لا يدري لمَ كان غمسه هو مع قلة مواهبه وإمكاناته المطلوبة لعمل جليل كهذا!

نظر نحو ماريانا التي تحتسي كأسها الثالث من أحد الخمور التي لا يعرفها، أيضا يعجب لتصرفها هذا، لقد كانت في البداية تحرص على عدم استفزازه بأي من المحرمات التي لا يمكن له أن يقربها، لمَ بدأت منذ صعود الطائرة في احتساء الخمور بطريقة تفوق حتما أوقاتها العادية!

هَمَّ أن يسألها عن سبب ذلك ولكن سبقته قائلة بصوت يفيض شجنا:

- هل تعلم يا عامر، وأنا في العاشرة ارتكبت جرما كبيرا لا يمكن اغتفاره، كنت في ذلك اليوم بمدرستي الدولية ذات المصاريف الخيالية، والنظام العلمي الدقيق، والصرامة اللازمة لضبط كل كبيرة وصغيرة فيها.

وفي ذلك اليوم وبختني معلمتي بتهذيب على تقصيري في أحد الواجبات، ولكن بمنتهى الرعونة ولغضبي مما فعلتْ؛ حين عرَّضت بي وتسببت في حرجي أمام زملائي، بمنتهى البساطة ذهبت إلى سيارتها ولم أرعِ كاميرات المراقبة الظاهرة، وقمت بتفريغ الهواء من جميع الإطارات، ولكَن ما زال الغيظ يشتعل بي ولم تنطفأ جمرته بعد، فما كان منى إلا خلع أحد القضبان الحديدية المجاورة؛ والتي سهلة الخلع والتركيب لمجرد تخصيص حارات الانتظار، وانهلت به على زجاج مقدمة السيارة ومؤخرتها، وأمسك بي رجال الأمن وأنا ما زلت عند زجاج النافذة الجانبية.

عمل كهذا أقل عقوبة له الفصل من المدرسة مهما كانت قوة وسلطة ولي أمر الطالب، وهذا ما ذهبت إليه إدارة المدرسة، وبينما يتم العمل على ذلك بحماس كبير يحمي سمعة المدرسة وطواقمها من إداريين ومعلمين، إذا بالمعلمة نفسها تخاطب مدير المدرسة بأن ما فعلت أنا هو عمل جنائي يتم الحساب عليه في أقسام الشرطة، وأني لم أخل بأيٍ من نظم المدرسة ولوائحها: من حضور، وانتظام، واحترام مباشر للأفرادً ومنشآت المدرسة، وبهذا فإن قرار فصلي مخالف للوائح نفسها.

وعن جريمتي الجنائية فهي لا تشمل سوى ملكية خاصة بها بعيدا عن أملاك المدرسة، وهي متسامحة ومتنازلة عنها، وبالتالي لا يوجد في سجلي الجنائي أي مخالفات تصمني بأي صفة تستدعي الفصل!

مع ذهول إدارة المدرسة ودهشتي كذلك، أخذني تصرفها هذا، واعتذرت لها وسألتها إن كانت تريد تعويضا مناسبا، ولكنها ابتسمت بطيبة ودبلوماسية وقالت: إنها يكفيها اعتذاري هذا، وأن دورها التربوي قد اكتمل الآن تماما.

ظل موقفها هذا يملأ قلبي نحوها بالامتنان، وجعلني أسيرة لها حتى تخرّجت من المدرسة إلى المرحلة الثانوية، وبعدها اكتشفت المفاجأة!

لم يكن موقفها الجليل الذي أخضعني لها نابعا من مشاعرها القلبية السامية أو تفكيرها العقلاني الحكيم!

لقد حاصرها أبي دون علمي وعرض عليها كل ما تريد من مغريات حتى تفعل ما فعلت!

رغم الدرس البليغ في هذا، لكني ما زلت أحبو على نهجي القديم!

قال عامر بتساؤل:

- لم أفهم ما هو الدرس البليغ الذي تقصدينه؟

ضحكت ماريانا بعبث وقالت:

- ولن تفهم.

هَمَّ أن يسائلها مجددا ولكن نهضت واقفة واضعة حقيبتها على كتفها وهي تقول:

- أنا ذاهبة إلى الحمَّام.

لم يستطع النطق أمام هذا المطلب الخاص، فأشار إليها أن تذهب، وأخذ يعتصر ذهنه عن المغزى الذي أرادته من قصتها هذه التي بدأتها فجأة بلا مقدمات!

نظر نحوها، فوجدها تلتفت للخلف نحوه وتبتسم له ابتسامة بدت مصطنعة جدا وتحتويها بعض المرارة، أشارت له بكفها الرقيق بتحية سريعة، ابتسم لها وهو يجيبها التحية بهز كفه اليمنى لها.

اعتدلت في سيرها وقد عدلت حقيبتها على كتفها، وهي تحث الخطى بسرعة، وعامر لا يستطيع رفع بصره عنها، وفجأة..

لمح عامر اليد القوية التي قبضت على ساعدها وشدتها وسط الزحام لتختفي فيه!

ارتفع حاجباه دهشة ومعها نبضات قلبه الفزعة، انتصب واقفا محاولا إيجادها ببصره، ولكن كانت قد توارت بشكل تام، لم يستطع ترك حقيبته التي تحوي أهم كنوز الدنيا، حملها على كتفه وانطلق مسرعا حيث رآها قبل اختفاؤها، وأخذ يتطلع لجميع الاتجاهات ولم يرها،انطلق باتجاه جذبها بتلك اليد القوية، وهو يمعن النظر يمينا ويسارا، ولكن كانت كأنما قد تبخرت!

هَمَّ أن يذهب إلى حيث شارة الحمامات، عسى أن تكون تلك اليد التي تراءت له مجرد وهم، ولكن قبل أن يلجها إذا بجسدين ضخمين يلتصقان به، وهمس له أحدهما بمنتهى الصرامة بالإنجليزية وبلكنة أمريكية خالصة قائلا:

- تحرك معنا ببطء وبلا إزعاج بدلا من التعرض لما لا يرضيك.

وبرعدة قوية اكتنفته لم يجد عامر أي خيار سوى الانصياع لهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهت ميرفت من مراجعة الرواية الجديدة لأحد الكُتاب المغمورين، أصبحت تتمنى لو تدخل وسائل التواصل بحساب واسم جديدين، لا يعلم أحد بحقيقة أمرها، عدم الإيمان بقدراتها الحقيقية على مراجعة الأعمال الأدبية وتدقيقها وربما تحريرها أيضا، مع ردود التعاطف ومحاولات التصدّق هي أكبر العوائق التي تواجهها!

تريد أن تصرخ فيهم جميعا أن ما أصابها لا يسبب لها سوى مزيد من الجهد والبطء في التنفيذ وفقط، كم مرة طلبت الحكم على جودة عملها وفقط بدون أي اعتبارات أخرى، ولكن كلمات المجاملة والمبالغة في المدح تزيد حنقها لعجزها عن إدراك حقيقة الأمر.

عادت بظهرها للخلف وهي تتنهد بعمق بعد أن أرسلت الملف النهائي لمدير نشر تلك الدار المكلفة بنشر الرواية، وإذا بصوت وصول رسالة نصية على جوالها من الشركة العالمية؛ من الواضح أنها مرسلة لجميع الموظفين المسجل أرقام جوالاتهم ضمن قاعدة بيانات الشركة، الرسالة تنبيهية بأن جميع خوادم الشركة تعرضت للإختراق، وأي بريد إلكتروني يحمل اسم الشركة لا يُعد وثيقة رسمية من الآن وحتى إشعار آخر، وكأنما هي رسالة قدرية أضاءت لمبة قوية برأس ميرفت، فما إن انتهت من سماع فحوى الرسالة، حتى أتاها تنبيه صوتي آخر بوصول بريد من موقع المركز التكنولوجي العالمي الذي قامت بالتسجيل في إحدى دوراته عن أمان الشبكات ومعرفة ثغرات اختراقها، وقتها لم تستكمل الدراسة (أونلاين) بعد

إدراكها لمدى صعوبتها واحتياجها لدارسين ذوي قدرات أكبر منها، مع تشككها الكبير في مصداقية غزة!

كانت الرسالة تنبيهية تذكرها بعدم زيارتها للموقع لمدة طويلة، وهل تواجهها صعوبات يمكنهم تذليلها؟

هذا البريد برفقة الرسالة النصية على جوالها من شركتها الصورية معا في آن واحد، دفعا باقتراح عايدة إلى السطح، ولكن هذه المرة لن تفعل حراما أو تقع في أي شبهات، بالعكس فالخوادم الآن مخترقة بالفعل وحتما تسبب خسائر فادحة للشركة، ستسابق الزمن في دراسة الثغرات ومحاولة استعادتها لهم!

انتابها حماس شديد يغذيه شخصيتها المثابرة المحاربة والمتحدية لكل الصعاب؛ التي لا تكف عن مواجهتها في كل خطوة تخطوها.

طلبت العزلة وانكفت على جهازها مستعينة بكل البرامج المعاونة لها، ورغم صعوبة الأمر على الصعيدين، الدراسي وافتقادها للرؤية المباشرة؛ إلا أنها كان لديها من الحماس، والقوة، والرغبة الشديدة ما يمسد ويمهد لها كل المعوقات، وبعد خمسة أيام من التعلم بمعدل خمسة عشر ساعة يوميا مع التطبيق العملي، نالت شهادة عملية معتمدة من سيسكو العالمية.

رغم صعوبة الأمر، ولكنها شعرت بخوض بحر لجي عاصف، وكم كان رائعا بلوغها الشاطيء الآخر، مشاعر الثقة واليقين اللذين يختالان بداخلها الآن، لم ينغص عليهما الاكتمال سوى تذكرها بأن ما فات رغم صعوبته ليس ما يعوق مسيرتها، بل الأكبر والأخطر والأهم هو ما سيحدث في الغد عندما تذهب للشركة وتعرض عليهم المساعدة!

ظلت تتقلب على الجمر ومخيلتها تفترض جميع الكلمات والعبارات التي ستتداولها مع جميع الأطراف وتبني آمالا، وخططا، وحججا لمحاولة إقناعهم، وبداخلها شبه يقين أنها قد لا تسـتطيع العبور بمثل ما فعلت منذ قليل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد انتظار طويل دخلت ميرفت واستقبلها المهندس محمد في ضجر مفتعلا ابتسامة لا حاجة لها، وهو ينتظر طلب خدمة ما منها حسب ظنه، قرر أن يمنحها دقائق خمس فقط لا غير!

قال لها بصوت خافت:

- أهلا يا ميرفت، هل تواجهك أي مشاكل في صرف راتبك؟

ابتعلت ريقها ولعلمها بالثمن الباهظ لكل ثانية تمر ولإعدادها لكل كلمة مسبقا قالت:

- أتتني الرسالة النصية وعرفت منها باختراق سيرفرات الشركة، أتمنى أن تصدقني إذا قلت لك أنني يمكنني استعادتها.

بلهجة مغلفة بعدم التصديق التام قال لها:

- راائع جدا، ما شاء الله عليك، ولكننا استعدناها بالفعل.

ارتبكت ميرفت لهذا الرد الصادم والذي لم تتوقعه أو تعد له ما يناسبه، فقالت:

- ولكن لم تأتني رسالة انتهاء المشكلة كما وعدتم في الأولى.

- لقد قمنا باعادة تهيئة للسيرفرات (فورمات) ولدينا أخرى آمنة خارج الشبكة عليها نسخ احتياطية قمنا باستعادة كل شيء منها، ولكن تركنا العمل داخلي فقط، ولم نفتح الشبكة لخارج الشركة، وما زال الموقع لا يعمل، ولهذا لم نرسل الرسالة بانتهاء المشكلة.

عاد الحماس مجددا لقلب ميرفت فضج به صوتها وهي تقول:

- إذا لا تعلمون سبب المشكلة الأصلية، والله والله والله يمكنني المساعدة، أرجوك لا تجاملني بأي كلام، ها هي شهادتي المعتمدة من سيسكو، فقط ضعني على جهاز متصل بشكل مباشر بأحد الخوادم لمدة ساعة، ولن أطيل عنها، واستدعِ مهندسًا تقنيًا معي، وسوف ترى العجب.

وبدافع من الحماسة والثقة اللذين اتشح بهما حديثها، اتصل المهندس محمد بالمهندس هشام رئيس قسم تقنية المعلومات بالشركة، والذي أخذ يشير بتعجب للمهندس محمد دون أن ينطق بأن هذا سخف، فابتسمت ميرفت وقالت:

- أرى أيديكما التي تشاور من خلفي، أستأذنك يا م. هشام، والله لن أضيع وقتك بلا طائل، وأعدك أنك لن تندم.

بكل أمارات الضيق استجاب المهندس هشام لإشارة المهندس محمد بأن يأخذها لما طلبت، فقال بصوت جامد:

- اتفضلي.

وعلى مكتب مهمل جانبي صاحبها أحد الفنيين المساعدين ليخبرها بما يظهر على الشاشة؛ وذلك لغياب البرامج المساعدة التي تعتمد عليها في جهازها.

كانت يديها تحفظان مواضع الحروف، ولهذا تكتب بسرعة أدهشت الفني، وعندما تضغط زر الإدخال تسأله مسرعة عن نتيجة ما كتبت، فيحاول القراءة ببطء وهي تستكمل ما يراه، فيوميء برأسه أن نعم ثم ينتبه فيخبرها بصحة ما قالت.

واكتشفت أنها على جهاز عادي يعمل فقط على الشبكة، ولكن غير مسموح له الاتصال ببيانات الخوادم أو إعداداتها!

أدركت مدى سخف صورتها ومطلبها في عيني المهندس هشام، وأيقنت بأن الجدال لا طائل منه، وأن محل قدميها الآن أقصى ما يمكنها بلوغه، لذا تغيرت استراتيجيتها لهدف جديد، ستحاول البحث عن ثغرات يمكنها منها مهاجمة الشبكة واختراقها، ولكن ليس بهدف الاختراق.

ظلت تفحص وسائل التأمين الكثيفة التي تغلف كل أنظمة التشغيل والشبكة الخاصة بالشركة، كانت تسعى في تطبيق عملي لما تعلمته في الأيام القليلة الماضية بمعلومات طازجة محدثة بآخر ما وصلت إليه التكنولوجيا الأمريكية، لذا ابتسمت ونالها الحماس عندما بدأت تظهر لها الثغرات التي توقعتها، علمت بأن مرافقها ليس مهندسا عندما شعرت بعدم فهمه لكثير مما قالت، فقالت له بتردد:

- أستأذنك في استدعاء المهندس هشام؟

- المهندس هشام دفعة واحدة، أنا نفسي لا يمكنني المرور بجوار مكتبه.

- أخبره فقط أني أريده لأمر هام.

لم يقتنع الفني بطلبها فأخبر المهندس المشرف عليه، والذي جاء ليسألها عما تريد، بعد علمها بأنه مهندس متخصص، بدأت تشرح له ما وجدت من ثغرات، والمهندس ينظر لها غير مصدق بأنها حقا لا ترى، حتما تدَّعي ذلك، والآن قد انفضح أمرها!

وفي النهاية قالت له:

- استأذنك في استدعاء المهندس هشام.

والذي جاء ليرى المزيد معها، فقال للمهندسين من حوله دون مراعاة لأي أمر:

- شايفين يا معاتيه، واحدة عامية اللي جابتها!

وعلى النقيض كانت هذه أجمل شهادة تقدير يمكنها نيلها في هذه اللحظة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نُزعت العصابة التي طوقت عيني عامر كثيرا، ظل مغمضا عينيه ظنا بأنه سيواجه إضاءة شديدة ستعمي بصره، ولكن لدهشته لم يحدث فارقا، فقد ظلت الظلمة كما هي!

تلفت باحثا عمن نزع العصابة ولم يره، وقبل أن يفتح فاه إذ بصوت شَعَرَ بتردد صداه بكل مللي في القاعة أو الغرفة التي لا يدري تفاصيلها، صوت أجوف شبه إلكتروني يقول:

- اسمك بالكامل، وعمرك، وجنسيتك.

بتردد وحذر قال عامر بخفوت:

- من أنتم أولا؟

هتف فيه الصوت بصرامة قائلا:

- لست هنا في موضع يسمح لك بالأسئلة.

وبالتردد نفسه أجابه عامر قائلا:

- معكم حقيبتي وفيها جواز سفري بكامل بياناتي، فحتما قمت بفحص وقراءة كل ذلك.

من بين ثنايا الألم لمح بعض الظلال التي تراءت له ببعض التفاصيل الشبحية للقاعة المظلمة، وذلك على إثر إضاءة الصاعق الكهربي الذي لامس ظهره؛ ليسري فيه تيار قوي زلزل كيانه ببالغ الألم!

بعد أن هدأت صرخاته وتأوهاته، نطق الصوت الأجوف قائلا:

- لست هنا أيضا في موضع للتذاكي، إجابات مباشرة سريعة وصادقة فقط.

اعتصر عامر شفته السفلي بالضغط عليها ألما ومرارة، فهذه هي المرة الأولى التي يجرب فيها إحدى وسائل التعذيب التي سمع عنها، وها هي كما توقع، لن يتحملها مجددا!

أسوأ ما اخترعه الإنسان؛ هي وسائل تعذيب أخيه الإنسان بهدف الأذى المباشر أيا كان دافعه، حتى لو كان للخروج منه بمعلومات قد تغيِّر وجه الكون!

والغريب أن العالم الذي يدعي التحضر هو رائد هذا المجال، ومنهم انتشر لشتى بقاع الأرض!

يذكر التاريخ الأسود لهم كافة وسائلهم المبتكرة للحصول على أقصى درجات الألم، محاكم التفتيش بأفكارهم الشيطانية، والحرق حيا، ونزع الأطراف

الأربعة المربوطة بخيول تنطلق لمختلف الاتجاهات، وغيرها الكثير مما تعجز أبالسة الجحيم عن التفكير في معشارها!

فرنسا التي تدعي أنها قِبلة النور، قامت بإلقاء امرأة جزائرية حية من مروحية، انتقاما منها لأنها من المقاومة المشروعة لأي بلد محتل!

تداعى لمخيلته وذاكرته كل ذلك، فارتعد بقوة وأيقن أنه لن يتحمل صعقة جديدة، سالت دموعه وهي يلوم غباء تلك المنظمة العجيبة التي يلعنها الآن، ستخرج من فمه بعد قليل كل التفاصيل التي يعلمها، ستنسحق روحه تحت تأنيب الضمير وإدراكه لمدى صغره وحقارة نفسه وقدراته.

لقد خلقنا الله متفاوتين في القدرات الجسدية، والعقلية، والتحمّل.

لم يملك رفاهية السباحة في أفكاره وخيالاته، فقد انطلق الصوت الآمر؛ الذي صعقه برعدة خفيفة هذه المرة لمجرد سماعه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تناول عامر وجبته بنهم شديد بعد اطمئنانه أنها لا تحوي لحم خنزير، تجرع باستمتاع المياة الغازية المصاحبة لها، وبعد أن اطمأنت معدته الخاوية منذ أكثر من يوم حسب ظنه، بدأت مشاعر الدهشة والتساؤلات المنطقية تتوارد إلى ذهنه وعقله الذي استقر، وبدأ في ترتب الأحداث ليصل إلى تفسير أو تعريف حقيقي لما هو فيه الآن!

اختطفت ماريانا أمام عينيه، وقبل أن يتحرك خلفها تم اقتياده أو اختطافه كذلك بصورة تشابه ما يحدث مع الأعمال الأمنية السرية التي لا تريد جذب الأنظار لها، حتما هي المخابرات الأمريكية السي آي إيه، كانت المطارات هي المسرح لأغلب العمليات المخابراتية العالمية، أعجبها بالنسبة له طريقة اغتيال رئيس كوريا الشمالية لأخيه في مطار العاصمة الماليزية كوالالمبور، فتاة أندونيسية فازت بعرض للعمل في أحد برامج المقالب، البرنامج تعتمد فكرته على رش وجه أحد الجالسين في الأماكن العامة برشاش مائي، وتصوير رد فعله الغاضب أو المندهش أو أيا كان!

تم تنفيذ الفكرة وتصويرها مرة في إحدى الحدائق، وأخرى بأحد المطاعم، وكانت الثالثة في صالة انتظار المطار.

وكانت المفاجأة بالقبض عليها في اليوم التالي بتهمة اغتيال الأخ الأكبر للرئيس الكوري، وقد رصدتها كاميرات صالة المطار بوضوح تام!

فقد كان الرشاش في المرة الثالثة يحوي سائلا قاتلا قضى على الرجل أثناء نقله بالإسعاف!

هي من وقعت في قبضة الأمن مع طاقم التصوير، في حين تبخر منتجي ومعدي الحلقة؛ أو المدبرون للاغتيال!

عملية مخابراتية محبوكة نُفذت ببراعة، هكذا يكون التخطيط وحُسن اختيار المنفذين!

لماذا يكون أصحاب الحق غالبا على قدر من السذاجة في تخطيطاتهم؟

ها هي ماريانا تم اصطيادها أولا، والنيل منه تاليا، ولكن يدهشه أن ماريانا الصاخبة لم تصرخ أو تقم بأي رد فعل جنوني يفضح المجرة كلها!

كان رد فعله شخصيا وقتها منطقيا بأن الصخب لا مبرر له، بل قد يدفعهم لقتله مباشرة والفوز بالحقيبة وما فيها من كنوز، فهل صمتت لأجل ذلك؟!

كما توقع ما إن صعدت قدماه إلى السيارة خارج المطار حتى أغشي عليه فور استنشاقه لذلك الغاز المخدر الذي تعرض له!

استفاق ليبدأ التحقيق معه في ظلمة لا مبرر لها، اضطر لإجابة كافة أسئلتهم عن بياناته ومن قام بتوظيفه، وتفاصيل عمليته؛ والتي أدرك فائدة عدم معرفته بكافة تفاصيلها، فكل ما حصلوا عليه أنه كان كامنا في إسبانيا تحت إشراف الدكتور موريس، حتى حصل على الكرة التي لا يدري كيف نجح في الفرار بها من مطار مدريد حى الآن، وبينما هو ينتظر في مطار نيو آرك وقع بأيديهم، كان المخطط له فور وصوله كولومبيا أن يلاقيه بالمطار من يتسلم الكرة، ولا يدري من هو حتى الآن!

وعندما سألوه لِمَ تم اختياره لهذه المهمة دون غيره؟

كانت إجابته التي يثق ثقة مطلقة أنهم قهقهوا كثيرا على إثرها؛ حين قال بأنها عملية تمهيدية لتأهيله لقيادة المنظمة!

أعادوا عليه نفس الأسئلة خمس مرات ولكن بصيغ مختلفة في أوقات متباعدة، ومع حرمانه من المأكل والمشرب والنوم، كان ذلك كفيل بتحطيم مقاومته التي ظنوا تحليه بها، ولكن توحدت أجوبته في كل الأحوال، وكانت دوما الأسئلة تنتهي بسؤال دائم الصياغة لم يتغير؛ ماذا يعرف عن الكرة التي يحملها؛ وكانت إجابته واضحة وصريحة، أنها ناقل زمني، ولكن لا يعرف كيفية تشغيلها!

تم نقله لغرفة نظيفة ومنحه هذه الوجبة التي أنهاها دون أي بواقٍ منها!

وأخيرا بجسد يصرخ ألما وتعطشا للنوم ارتمى على سريره، وآخر ما يذكره قبل أن يذهب في غيبوبة النوم المستحقة؛ هو وجه ماريانا وابتسامتها

المريرة، ولم يدر حتى الآن لِمَ تعمد ألا يأتي على ذكرها مطلقا في تحقيقاته، والأعجب أنهم لم يسألوه عنها مطلقا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يدر عامر كم لبث في غياهب النوم الخالي من الأحلام بصورة عجيبة لم يجربها من قبل، حتما بسبب شدة التعب والألم اللذين نالا منه قبل الانغماس فيه.

كانت أواني غداؤه ما زالت كما هي على وضعها الذي تركها عليه، ولاحظ للمرة الأولى أن لغرفته بالداخل باب صغير فتحه ليجد حماما ملحقا بها، وكانت هذه أهم نعمة يمكنه الفوز بها الآن، قام بشعائره البشرية الخالدة، واغتسل ليستفيق بشكل أكبر، وتوجه نحو القبلة حسب ما تيسر له فهو في موضع يمكنه الصلاة بلا تأكيد لها، أدى صلواته التي فاتته وهو يطيل السجود والدعاء بتضرع وخشوع كبيرين أن ينجيه الله مما هو فيه.

انتهى وتمدد على سريره ليقرأ الكثير من آيات الذكر الحكيم والأذكار التي قد تحفظه من كل ضر، طالت مدة انتظاره دون جديد، لا يدري ما الأصوب: أن يستدعيهم ليبدأوا حفلة تحقيق وتعذيب جديدة، أم يستظل بهذه الهدنة التي لا يدري ما يعقبها، أخذ يتطلع لمحتوى الغرفة وانتبه للخزانة الخشبية المغلقة، هل يعقل أنها قد تحوي شيئا ينفعه؟

ولدهشته القصوى فقد كان فيها كل شيء؛ حقيبته بجميع أوراقه وكذلك جواله!

الأمر مريب جدا! حتما هناك مكيدة جديدة لا يدري عنها شيئا!

فتح جواله ولدهشته الأكبر كان متصلا بالانترنت!

يمكنه الآن التواصل مع أي طرف لنجدته، أقرب من يمكنه ذلك هو الدكتور موريس، ولكن كانت رسائله الأولى لأبيه وعبير يسألهما عن أحوالهما ويستجدي منهما الدعاء، وجد رسالة من ماريانا مع إشارة عدم القراءة، اندفع نحوها ليزداد الغموض المحيق به؛ فقد كانت جملة واحدة تقول:

- ليتك كذبت عليّ.

توقف كثيرا محاولا معرفة ما تقصده؛ أي شيء كان صادقا معها وتمنت هي أن يكون كذبا؟

وما عاقبة صدقه معها؟

هل وقوعه في يد السي آي ايه بمكيدة منها؟

هذا هو المنطق والتفسير الوحيد الجلي لغرابة تصرفاتها قبيل اختفائها، وكذلك لعدم سؤاله عنها بالتحقيقات!

ولكن كيف ومتى نجح الأمريكان في تجنيدها؟!

تذكر الآن كيف أن الخطة لم تشملها وهي من أصرت على صحبته فيها، بل نجاته في المطار كانت بمبادرة منها ربما لا تعلم منظمة اليد الغبية عنها شيئا، وهو الذي ظن فيهم حنكة التخطيط لوهلة!

ولكن لمَ كل هذا التعقيد؟! فهو بالفعل لا يعلم معلومة واحدة أكثر منها.

ربما كانت خطة الأمريكان الفوز بالكرة من خلالها، ولكن أرادوا التيقن من صدقها فكان التحقيق معه لأجل ذلك، وإكراما لها سيتم إطلاق سراحه بعد انتهاء التحقيق!

لم يدر لمَ اعتصر قلبَه ألمٌ بسبب اعتقاده كل ذلك، وشعر بحنق كبير نحوها، ولكن توجب عليه التوثق من ظنونه هذه، لهذا أرسل لها جملة واحدة كذلك يقول لها:

- أين أنت وماذا تقصدين؟!

كانت كل رسائله تحمل العلامة الواحدة الدالة بأنها لم تصل بعد إلى جوالات الآخرين، حاول الاتصال ولكن شبكة اتصال جواله كانت منعدمة.

خطر له خاطر عجيب لم يتأخر في تنفيذه، هل من المعقول أنه في موضع يشابه ذلك السجين الذي حُكم عليه بالإعدام، ولكن لأن السلطان المجنون كانت له لوثاته وشطحاته، ذهب إليه وقال له:

- لديك وسيلة هروب واحدة في زنزانتك، لو استطعت الفرار منها فأنت حر ولن نلاحقك بعدها، ولو ظهر ضوء الصباح وأنت ما زلت في زنزانتك؛ سيتم تنفيذ الإعدام مباشرة غداً.

لم ينم السجين ليلته، ونقب الزانزانة حتى أنه قد حرَّك كل ذرة تراب من موضعها، ولم يصل أبدا لتلك البوابة السحرية، تسلل إليه ضوء النهار، وقد توصل لقناعة بأن ما حدث ليس سوى إحدى وسائل التعذيب من السلطان السادي، لقد منحه الأمل وحتما يراقبه ويتسلى بآلامه الآن قبل أن يقطع رقبته!

وعندما جاءه السلطان مصمص شفتيه وقال له:

- لم تنجح كما توقعت!

رد الرجل عليه بمرارة وغيظ قائلا:

- لم يكن هناك منفذا، لمَ فعلت ذلك بي؟

وكان الرد المفاجأة عندما قال له السلطان:

- هل جربت فتح باب زنزانتك؟

وأمام عيني السجين الذاهلتين المتسعتين هز السلطان رأسه مقهقها وهو يقول:

- نعم لقد كان مفتوحا طوال الليل، ولكنك أنت من تغافل عنه!

مد عامر يده ليفتح باب غرفته، ليجده غير موصد بأي وسيلة عادية أو إلكترونية!

لن يضيع وقتا في التفكير والتأملات والحسرة والبحث عن العظات، حمل حقيبته على كتفه، وانطلق عبر الطرقات الخالية باحثا عن باب عمومي يقوده للخارج، والذي لم يتأخر عنه!

خرج إلى نهر الطريق غير مصدق بأن الأمر بهذا اليُسر!

تلفت حوله ليجد نفسه في مكان يسوده الصمت ومنازل صغيرة متباعدة ذات طابق واحد وحديقة صغيرة أمامية على الطراز الأمريكي.

وقبل أن يتخذ قراره بالتوجه يمينا أو يسارا ظهرت سيارة سوداء مسرعة لا يدري أين كانت بداية انطلاقها، توقفت أمامه وانفتح بابها الجانبي لتمتد الكثير من الأيدي لتجذبه إلى بطنها وتغلق الباب خلفه بسرعة، وبالداخل رأي الملامح الشريرة التي لا يُنتظر منها أي خير أبدا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظر عامر لمجاوريه وقال لهم:

- لم أحاول الهرب، كان المكان خاليا تماما وكنت أبحث عنكم، وإذا بقبضة قوية تقريبا قامت بتهشيم جانب وجهه، صرخ فزعا وألما وهو يقول من بين رؤيته المشوهة:

- ما هذا؟

هَمَّ مجاوره أن يلكمه مجددا، فهتف صارخا:

- سأصمت ولن أتفوه بحرف.

انطلقت السيارة بالحي نفسه بين المباني الأنيقة والنظيفة والمرتبة بنظام واحد مريح للعين، حاول عامر متابعة اللافتات الصغيرة التي تظهر وتختفي سريعا ولكن فشل في معرفة أين يقع هذا الحي!

توارد لذهنه خاطرا أفزعه؛ لماذا يتركونه مبصرا هكذا دون حجب لبيانات الطرق عنه بكيس قماشي أسود يحوي رأسه داخلها، أو حتى بعصابة صغيرة فوق عينيه وليس بإفقاده الوعي بمثل ما حدث في المرة الأولى؟

ولمَ يأخذونه لمقر جديد غير الذي كان فيه؟!

هل يصحبونه لمقتله؟

هذا هو المبرر الوحيد المنطقي لكل ذلك، فبعد صعود الروح لن يضيرهم معرفته بكل شيء!

بعد عشر دقائق وعند منزل يطابق الأول في كافة تفاصيله الخارجية، تبعهم لداخله، وفي إحدى الغرف التي تشبه غرف العمليات الجراحية طلبوا منه الصعود فوق سرير معدني حتما هو منضدة إجراء العمليات الجراحية، ارتعد وهو يتوقع التالي، فالتفت قائلا:

- لا داعي لكل ذلك، ماذا تريدون مني؟!

لم يجبه سوى الوجوه الجامدة الصارمة والرجل يشير له بصمت بليغ!

صعد طواعية إلى المذبح، تمدد عليه وإذا بأصفاد تظهر ممتدة من أسفل السرير لتقيد حركة يديه وقدميه، لا زال العجب والرعب يلتهمانه على إثر التصرفات الغريبة المتتالية، ما الداعي لكل ذلك؟!

وضع كبيرهم يده أمام فمه بينما يتحرك مبتعدا متحدثا بهمس صامت؛ ليحجب ما قد يتسرب من صوته وملامحه ما زالت كما هي غامضة كئيبة!

ظل عامر في نومته وهو يتعجل الجحيم القادم، فوقوع الموت أفضل حتما من انتظاره كما يقول المثل المصري الشهير!

وإذا بقمة الدهشة وذروتها التي لم يتخيل يوما الوصول إليها!

فأمام عينيه ارتبك المشهد بسرعة، تحرك الرجال المصاحبون له يمينا ويسارا لتشكيل على جانبي الباب، ومد أحدهما يده ليفتحه ليظهر خلفه الرئيس الأمريكي بنفسه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد نزع ظفرين وصرخاته الكبرى ظهرت الكرة الفضائـية على أحد مناضد الغرفة، ورغم إجاباته الثابتة والمتكررة إلا أن الوحش القائم بالتحقيق معه كان يتعمد تعذيبه بوسيلة أشد من سابقتها في كل مرة ظنا منه بثبات عامر وقوته؛ والذي خارت قواه!

اقترب منه الرئيس الأمريكي ونطق للمرة الأولى قائلا:

- تزعم أن هذه الكرة هي ناقل زمني.

من بين طيات الألم نطق عامر بصوت واهن قائلا:

- أنا لا أزعم شيئا، هذا ما قيل لي!

نظر الرئيس نحوه مليا، ثم توجه إلى المنضدة التي ترقد عليها الكرة متناولا إياها ومقتربا شبه ملاصق لمنضدة عامر وهو يقول:

- حسنا، نريد تجربة عملية الآن!

تحفز الحرس المصاحب للرئيس، وهمس بأذنه أحدهم قائلا:

- سيدي هذا خطر كبير، لا يمكن المخاطرة بذلك!

بعناد نطق الرئيس قائلا:

- أقبل بهذه المخاطرة، عودة الكرة لنا مجددا بمعلومة خطيرة كهذه هي إشارة ربانية لي لن أضيعها.

- فلتكن أنت في مكان آمن وسوف ننقل لك التجربة في بث حي.

بعناد وإصرار طفوليين هتف الرئيس قائلا:

- لا، سوف أكون أول من يجربها!

هتف عامر قائلا:

- حنانيكم، أنا لا أدري كيف تعمل!

هتف به معذبه قائلا:

- نعم!!

ارتبك عامر وهو يعلم عاقبة ذلك! فالرجل لن يصدق إلا بعد اختبار جميع درجات الألم، ابتلع ريقه بصعوبة وهو لا يعلم كيفية الهروب من ذلك المأزق فقال:

- ولكن يمكنني التجريب!

نظر كبيرهم نحو الرئيس مجددا راجيا إياه أن يتبع نصيحته بعدم التواجد في الغرفة حرصا على سلامته وأمنه.

ولكن بما اشتهر به من حمق وعناد لم يبال بالنصائح ولا باتباع الوسائل البسيطة لحماية منصبه!

بعد فك أصفاده، تناول عامر الكرة كأنما يراها للمرة الأولى، هي بملمسها نفسه البارد، ووزنها المتوسط، كانت دقات قلبه تطرق باب أبيه وعبير وتسألهما النجدة، وتصم أذنيه، أخـذ في تقليب الكرة مع الضغط على كل ملليمتر فيها وهو يسأل الله أن تستجيب لنداءاته وتسحبه ليومين مضيا، إن عاد إلى المطار سوف يسحب ماريانا من يدها ويفر هاربا إلى أول طائرة مغادرة أيا كانت وجهتها.

ولكن ماذا إن كانت ماريانا متواطئة معهم كما استنتج سابقا، هز رأسه لينفض تلك الأفكار عن رأسه، ليستعيد كامل تركيزه على ما يفعل، وهو يستعد لنقلة زمنية مفاجئة تخلصه من الظرف الحالي، فليحدث ذلك أولا وبعدها سيكن لكل مقام مقال.

تزايدت حبات العرق على جبينه وهو يقرب الكرة إلى عينيه عسى أن يجد بها شيئا مصغرا!

وحدثت المعجزة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تناولت ميرفت كوبها المفضل وصبت فيه الشاي بدون سكر كما تحبه، ومع ورقتي النعناع فاحت الرائحة التي داعبت خلايا مخها تسألها السكينة!

خرجت إلى الشرفة لتنال أذنها نصيبها من ضجيج الحارة؛ الكثير من السباب بذكر المناطق والعمليات الجنسية!

أبواق التكاتك ومكبرات صوتها التي لا تكف عن محاولة توصيل رسالة ما لسكان بعض كواكب المجرة المجاورة!

وغيرها الكثير مما يجعل خروجها إلى الشرفة أمرا مستهجنا لا داعي له.

ولكن كان كل ذلك بالنسبة لها من الغبار الذري الموجود ولكن لا يري بالعين المجردة، فهو على هامش حواسها، تركيزها الآن منصب على الاستمتاع بكوب الشاي مع نسمة الهواء الخفيفة التي تداعب بشرتها.

ابتلعت ريقها بعد أول رشفة لتبتلع معها المرارة التي تلهب حلقها!

كان ظنها أن أمر تعيينها في قسم تقنية المعلومات أو حتى أي قسم إداري، كانت تظن أنه لا مفر منه، فها قد برهنت لهم أنها تتمتع بالقدرات المطلوبة للعمل، دائما ما تكون مرحلة إثبات الذات هي الأكثر والأفضل إنتاجا في شتى المجالات، المثابرة والجهد يكونان في أعلى منحنياتهما بتلك المرحلة مع التوقد الذهني الكبير.

بالنسبة لها تظل هذه المرحلة مستمرة لا تتوقف لأن مسبباتها أبدية!

هي تريد أن تهتف بهم أنها ليست عاجزة؛ مثلي مثلكم؛ لو فقد أحدكم ذراعه يمكنه الإنتاج بالأخرى، فلمَ مع فقدان حاسة مع أهميتها القصوى نَصِم بقية الحواس بالعجز معها؟!

قلبها يحمل كرها شديدا للمهندس هشام، لقد رأي بعينيه كيف تجاوزت قدرات مهندسِيهِ المتخصصين والعاملين ذوي الخبرة، فلمَ رفض بهذا الإصرار أمر تعيينها عنده؟

لن تنسى جملته الساخرة القبيحة التي نالت من قلبها ووجدانها، رغم عدم اهتمامها من قبل بمثيلاتها، عندما قال:

- هي شاطرة صحيح، بس مش هتوصل إن العميان اللي هيمشو لي شغلي.

ولكن قد يكون هو أفضلهم؛ لقد كان صريحا مباشراً، أما غيره ببسمتهم التي حتما ارتسمت على وجوههم، لم تنل منهم سوى المجاملة ورحيق الكلام وفقط؛ العبارات الشهيرة بمدح القدرات، وربما المبالغة الكاشفة بأن الوعود التالية بالبحث في الأمر وعن فرصة ومكان مناسبين؛ حتما هي وعود كاذبة.

ولكن جهدها الكبير الـذي دفعته في السهر والعمل على حاسوبها برفقة الوسائل المساعدة لم تذهب هباءً؛ لقد تضاعف راتبها الرمزي التصدقي، ولكن عن استحقاق متكامل هذه المرة، بل مع بخسها حقها الذي كانت تسعى لنيله، والذي إن كفت عن محاولة الوصول إليه حينا، فحتما ستعود بوسيلة جديدة، فلديها يقين بالحكمة القديمة القائلة؛ يوشك من يطرق الباب أن يُفتح له.

انتهت من الاستمتاع بكوبها على صدى خواطرها وعادت للداخل متجاهلة نداءات غزة لها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مع طرقاته العنيفة المزعجة بلا انقطاع، اضطرت أن تفتح له وهي تقول بنفاذ صبر:

- أيوه يا غزة عايز إيه؟

- بصي يا أستاذة والنعمة الشريفة إياك أطرشها دم، المرة دي خدمة انسانية بجد.

- يا ابني خدمة ايه اللي أعرف أعملها لك، بص لي أنت مبتشوفش؟

- طيب اعرفي الأول عايز إيه.

- مش عايزة أعرف، فُكك مني بقي.

بمنتهي الإصرار قاوم غزة محاولة غلقها للباب وهو يقول بإلحاح:

- فيه ناس هيسرقو البنك بتاع الزكاة اللي اسمه ناصر.

- روح القسم وبلغ عنهم يا غزة.

- الواد حسونة المخبر الـ@#.. قصدي المعفن مش مصدقني.

- وأنا كمان مش مصدقاك، ده غير أنا مالي أصلا ولا هاعمل إيه؟!

- طيب سيبيني أشرح لك، ولو مش مصدقة خلاص هاحلك مني، اتفقنا؟

تنهدت ميرفت وقالت:

- اشرح بس بسرعة.

- لأ مش هينفع هنا.

همت أن تغلق الباب وهي تقول:

- مع السلامة يا غزة.

صد الباب بيده مجددا وهو يقول:

- خلاص خلاص هاقولك.

عقدت ميرفت ساعديها أمامها وهي تتنهد في انتظار انتهائه من قصته الأسطورية، والتي حتما لن تدرك أي جزء منها صدقاً وأيها كذب!

فاستطرد غزة قائلا:

- بصراحة كده المفروض كنت أبقى معاهم، بس ولاد ال@#$ باعوني، فأنا بانتقم منهم بإني أسلمهم، وانت هتساعديني إن فلوس الناس الغلابة متروحش لهم.

لأول مرة تجد ميرفت قصة غزة منطقية وطلبه عادل ومشروع، فقالت باهتمام:

- وهاساعدك إزاي إن شاء الله؟

مد غزة يده إلى داخل جيبه القذر وأخرج وريقة متهالكة، قدمها لميرفت وهو يقول:

- دي أرقام مش عارف إيه كده بتاعة كاميرا البنك، هم قالو للواد هيمة يوقف شغلها من النت، أنت بقي لو تعرفي توقفي الواد هيمة وتخليه ميعرفش يوقفها، هيمسكوهم تاني يوم.

صمتت ميرفت تحاول الوصول إلى كمين خفي في مطلب غزة، فهو كشيطان محترف في تزيين الباطل ويلبسه وجه حملٍ برئ لا تملك إلا التعاطف معه والسعي لمعونته، لم تستطع فهزت رأسها وطلبت منه قراءة الأرقام المكتوبة، والتي فهمتها وحفظتها فقالت:

- بص يا غزة، هاشوف أرقام الآي بي دي الأول، وهاعرف بتاعة البنك فعلا ولا لا، لو مش تبعه انساني، ولو كلامك صح أنا هابعت ايميل لوزارة الداخلية مع بث حي للكاميرا، اتفقنا؟

- قشطة قوي، مش عايز أكتر من كده.

علمت منه ميرفت بموعد الاقتحام المفترض وأغلقت الباب دون كلمة زائدة أو انتظار لصوت قدميه المغادرتين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت عينا عامر تتطلعان إلى الخضرة الممتدة للأفق وفي قلبه ألم فاق كل آلامه الجسدية التي نالها من قبل، تحركت عيناه عن الرؤية بعيدة المدى إلى القريبة منه، ليطالع طفلا يلاحق كرته التي كلما وصل إليها اصطدمت بقدمه في حركة لا إرادية فانطلقت مجددا، ابتسم بمرارة؛ فهذا شأنه تماما الآن!

كلما ظن اقترابه من هدفه بسذاجة منه يدفعه بعيدا لينطلق خلفه مجددا في وهم اللحاق ونيل القريب منه!

ولكن لمَ كل ذلك؟ فليس هناك ارتباط شرعي ولا حتى عرفي أو إجتماعي يربطه بها لأجل هذه المشاعر السلبية المتزايدة التي تموج بداخله نحوها!

يعلم يقينا بأن هذه هي المرة الأخيرة التي سيراها فيها!

بمشاعر مضطربة حائرة متصارعة ينتظرها وقد تضخمت الثواني وصارت ساعات!

لا يدري هل يلومها باتهام صريح أنها خانته، وكان كالعادة أهون من ذبابة بالنسبة لها، أم فقط يودعها في الدقائق القليلة المسموح له بالحديث معها؟

انقطعت أفكاره بظهور الجثة الضخمة التي حجبت عنه كل المشاهد الطبيعية الخالدة وهو يقول له بجمود وصرامة:

- لن تلتقيك.

اعتصرت المرارة قلبه بأكثر مما كان، وإن كان هذا هو الحل الأفضل، لقد انتهت قصته مع ماريانا للأبد، والأصوب الآن أن يتم بترها هكذا دفعة واحدة بقسوة تنسيه كل تفكير فيها!

وإن كان يعلم أنه أبدا لن يفعل، فالحكمة القديمة تذكره أنه "من السهل أن ننسى من أضحكنا، ولكن من الصعب أن ننسى من أبكانا"

ابتلع ريقه بصعوبة وقام واقفا متسائلا:

- ماذا الآن؟

أشار له محدثه بجمود ليتقدمه، فسار أمامه ببطء نحو الباب، استقل السيارة الفاخرة المتوقفة أمامه والتي لا حاجة للتعريف بها أنها مركوبته المنشودة، وما إن استقر على الكرسي، حتى جلس بجواره الصامت الغامض، وفي كيس قماشي أسود استقرت رأسه بكل أفكاره المضطربة الحزينة، والتي ما زالت تبحث عن الكثير من الإجابات!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- شبكة الانترنت في ذلك الحي الفقير تجعل أمر التتبع عسيرا جدا؛ راوتر واحد يغذي المنطقة كلها بشبكة كابلات مهترئة، أرقام آي بي عشوائية تتغير كلها بسرعة مع كل مرة يتم فيها انقطاع التيار الكهربائي أو إعادة تشغيل الراوتر، وكثيرا ما يحدث!

ولكن يوم العملية رقم الآي بي الذي تم رصده تحرك بين ثلاث مواقع فقط بذلك الحي العجيب، منزل المتعلمة الوحيدة فيه شابة كفيفة البصر يستحيل أن تكون هي، وآخر فيه طفل وحيد والديه في الثانية عشر من عمره، إقامته في هذا الحي تنفي العبقرية التي قد يتفرد بها لفعل ما حدث، أما الثالث فهو شاب يُدعى عبد الحميد عمره ٣٧ عاما ولا يُعرف له وظيفة محددة!

وهو المرشح الأكبر للاتهام بما حدث.

انتهى تومي من تقريره المختصر الذي طولب به، وكان رد محدثه ذو الرتبة الأعلى بوجوب الذهاب إلى عبد الحميد هذا ومحاولة استنطاقه بما يوحي بأنه الفاعل، وعلى حسب رد الفعل سيكون القرار التالي!

وبعد ساعتين كان تومي برفقة أحد المترجمين يغوص بقدميه في أوحال الحارة؛ التي دفعته ليقين كبير باستحالة أن يكون ما حدث له علاقة بأي مخلوق فيها!

ارتكنت السيارة قبل الوصول للحارة المزعومة لضيقها وعدم سماحها باستكمال الرحلة فيها، اضطرا للترجل محاولين تجنب كل العيون المتسعة الملتصقة بهما بكل فضول، وكان قرارا حكيما باجتناب الحديث مع أيهم، وكان الأكثر حكمة من المترجم تجاهل عبارات التنمر والسباب المتسائلة عنهما وما جاء بهما هنا، وعدم نقلها لتومي!

ومع برنامج تحديد المواقع على جواله ذهبا إلى البيت المكون من طابقين يرتكن عليهما الفقر بساعده!

احتار تومي وتوجس خوفا من محاولة الدخول، ولكن طمأنه المترجم فطرقا باب الطابق الأول، وبعد أن كاد اليأس يمد يده ليصافحهما؛ أصبح من حسن حظهما أنه المنشود بالفعل، فبعينين يكاد اللون الأبيض فيهما أن يذوي بعد تزرعهما باللون الأحمر، وبجفنين متورمين، وبمحاولة فتحهما بصعوبة بعد فتح الباب، وبصوت ممطوط يختنق بعسر ولادته قال لهما:

- فيه إيه يا أستاذ أنت وهو؟

- حضرتك الأستاذ عبد الحميد؟

هرش في مؤخرة رأسه وهز رأسه محاولا استيعاب ما يحدث، وهل ما يرى هو الواقع أم أحد أحلامه الخيالية، وقال:

- حضرتي، وأستاذ، وعبد الحميد!

- أيوه، أنت ولا لأ؟

- أنتم مين الأول؟

- مستر تومي من السفارة الأمريكية وأنا المترجم بتاعه.

اتسعت عيناه وتبخر آخر أثر للنوم والمخدرات التي كانت تغتال وعيه قائلا:

- يا دين النبي! السفارة الأمريكانية حتة واحدة!

- خلصنا يا أخ أنت ولا لأ؟

- ده اسمي في الحكومة، إنما محسوبك (غزة).

ارتبك تومي والتهبت أعصابه دون الحاجة للترجمة بعد سماعه لكلمة (غزة)، وبعد أن شرح له المترجم بأن هذا اسم شهرة اختاره لنفسه بمنطقته، قرر تومي أن يصحبه معهما إلى السفارة إن أمكن ذلك، وكانت موافقة غزة والذهاب معهما بيسر لم يتخيله أبدا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في طائرة خاصة صغيرة وفوق أمواج المحيط الأطلسي الخالدة، كانت نظرات غزة الزائغة غير المصدقة لما هو فيه، لقد تعاطي أعتى المخدرات من قبل ولم تصل به أبدا لمعشار ما يحدث من خيال الآن!

بعد تحقيق هزلي عن قدراته ومدى ما يمكن فعله على أجهزة الكمبيوتر، ومع مبالغته في أنه كان أحد معلمي بيل جيتس، وبعد اتصالات بالقيادات المخبولة

في أحد فروع أمن الرئاسة الأمريكية، كان الطلب بحملة على تلك الطائرة والمجيء به إليهم!

ورغم تأكيد رجل الأمن في السفارة باستحالة أن يكون هذا الكائن له يد فيما حدث، ولكن كان إصرار القيادات بطلب نقله إليهم وليس إلى أحد المواقع السوداء كما هو معروف من قبل في مثل هذه الحالات!

وبعد التوقف المتكرر في بعض الجزر التابعة للسيطرة الأمريكية وسط المحيط للراحة والتزود بالوقود، أخيرا حطت الطائرة في مهبط خاص سري، وعانى مرافق غزة في إيقاظه والنجاة من غطيطه المزعج بنغمات لم يسمعها من قبل!

صعد رجلي أمن سريين أمسكا بساعدي غزة بقوة، وهو يحاول نزعهما هاتفا باعتراض:

- فيه إيه ياعم أنت وهو؟!

وبجهل تام لما يقوله، قاما بتقييده بقوة ووضع الكيس الأسود فوق رأسه ودفعه من كتفه بقوة وعنف، وهو يكيل لهما السباب واللعنات بكل ألفاظه القبيحة التي لا حد لعددها، وكيفيتها، ونغماتها المصحوبة بسيمفونية خيشومية مدهشة!

وأخيرا في غرفة شاسعة خالية تماما إلا من منضدة معدنية ذات مقعدين متباعدين على طرفيها، وبزجاجها القاتم ذو الاتجاه الواحد في الرؤية من الخارج، وبكاميرات مراقبة دقيقة حديثة لا ترصد فقط الحركات، وإنما كل العلامات الحيوية لمن بالقاعة!

تم تكبيل قيد غزة في طرف المنضدة التي يجلس عليها، وهو يصرخ قائلا:

- إيه يا جدعان اللي بيحصل؟ ما كنا كويسين مع بعض! يخربيت أبوكم.

وبعد ساعتين لم يكف فيهما غزة عن الهتاف المتعجب والسباب المبالغ فيه، ثم الرجاء بدخوله الحمام وإلا سوف يفعلها على رأس أبيهم حسب نص كلامه!

وصل المترجم ذو الأصول العربية ليكتم أنفه بقوة ويخرج مسرعا وهو يقول:

- ما هذا؟! لماذا تركتموه يفعلها هكذا؟ أي طعام يخلف هذه الرائحة الرهيبة؟!

بكمامات فائقة وزي تعقيم متكامل يشابه المخصص لرواد الفضاء؛ تم تنظيف القاعة وإعادة غزة بأصفاده إليها، وأخير جلس على الجانب الآخر منه مترجمه، وبيده ورقة كبيرة تحوي الكثير من الأسئلة التي سيطرحها عليه،

وبعد ذلك يقوم بتفريغ التسجيل بترجمة دقيقة لكل حرف مع وضع الترجمة ببرنامج يقوم بإخراج التسجيل المصور بصوت غزة ناطقا بالانجليزية، شاملا كافة انفعالاته الظاهرة وعلاماته الحيوية بكل مؤشراتها على جانبي الشاشة!

- أهلا بك سيد عبد الحميد.

- باقولك إيه يا أخ كلمني عِدل زي ما بكلمك.

- معذرة أخي أنا لست مصريا، ولو حدثتك بلهجتي قد لا تفهم بعض كلماتي، لهذا أحدثك بالفصحى التي حتما ستدركها.

- اللهم طولكِ يا روح، قول يا عم عايزين إيه في ليلتكم الخـ$# دي.

- اسمك وسنك وعنوانك.

- إيه سيفن إيه، تصدق بالله أنت رجل هزوء، يعني جايبني من على سريري، وأول مرة حد يقوللي اسمي الحقيقي، ومسفرني أمريكا مخصوص؛ علشان كده!

هز المترجم رأسه وهو يحاول كظم غيظه والاحتفاظ بملامح جامدة، وتجاوز متعمدا بعض الأسئلة النمطية قائلا:

- قلت في السفارة بمصر أنك خبير اختراق تقني، هل أنت من اخترق المنطقة F27 ؟

- أيوه بلا فخر أنا اللي دشملت أمها.

- من أعطاك الأمر، وما كان هدفك؟

- محدش يستجري يتأمر عليا، وكنت عايز أدي شوية الـ@*&$ درس عمرهم ما ينسوه.

- من تعرفه من اليد الواحدة؟

- بص هو إحنا فعلا كنا إيد واحدة لحد ما حبو يشتغلو لحسابهم.

- هل تعرف أحدا في حماس؟

- حماس بتاعة فلسطين؟

- نعم.

- عليا النعمة أجدع رجالة.

- من تعرف منهم تحديدا؟

- والله نسيت أساميهم بس ناس مية مية راكبين اليهود، ربنا يبارك لهم.

- أنت بهذا تعترف أنك معادٍ للسامية!

- لا الأمانة لله الأستاذة سامية ست طيبة وجدعة، صحيح مش عارف بتبقي قرفانة مني ومش عايزة تكلمني ليه؛ بس بتيجي تطلع خير كتير في الحتة، والأبلة ميرفت بتقول القصص اللي بتكتبها حلوة قوي.

وبعد سويعات تم فيها استنزاف غزة بإجاباته العشوائية، وأخذ الكثير من عينات دمه؛ التي كانت تفور بكثير من المركبات الكيميائية التي يستحيل تجمعها في آن واحد، رُفع التقرير بجملة واحدة تقول:

" لقد وقعنا على صيد ثمين يربط اليد الواحدة بأخطر حركات التحرر في الشرق الأوسط، يستخدمون مركبات كيميائية جديدة تمحو المعلومات الهامة بشكل سريع من المخ وتسبب التشتت، وتمنع السيطرة على عقل متعاطيها، سيتم الاهتمام به على المدى الطويل واستنزافه بكل المراحل الجسدية والعقلية والنفسية لدينا"!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في تلك الليلة تنهدت ميرفت وهي تضع كوبها جانبا بعد ارتشافه لمشروبها بمنتهى التأني والتمتع، ما زالت في حيرة من أمرها، لن تدرك أبدا صدق غزة من كذبه، كم أقسمت من قبل على عدم التحدث معه أو منحه أي أمل في التعاون، ولكنه يجيد الاستجداء وفتح الحوار، وبأسلوبه الإبليسي يعرف كل مداخل تعاطفها، لقد فحصت رقم الآي بي؛ وبالفعل يخص العنوان المذكور والذي يقع فيه أحد فروع البنك، وبين حيرتها فيما ستفعل: هل سيكون عملا خيريا بالفعل، أم معونة لشيء فاسد لا يخطر ببالها، لهذا ستلتزم بخطتها، أنشأت بريد إلكتروني عشوائي؛ وفتحت به حسابا جديداً على الفيس بوك، بعد استخدام أحد برامج الـ VPN الذي ساعدها في جعل عنوان جهازها في هولندا، وأعدت رابط بث مباشر على ذلك الحساب.

وأرسلت من بريدها الجديد رسالة إلى خط الطوارئ بوزارة الداخلية تخبرهم أن هناك عصابة تستهدف فرع بنك ناصر مع ذكر عنوانه، وأنها سوف تثبت ذلك لهم ببث حي لعملية السرقة على رابط حساب الفيس بوك هذا.

ولكي تنتهي من كل ذلك، لن تنتظر حتى موعد السرقة الذي حتما لن يلتزموا به وقد يتم تعديله في أي وقت لأي سبب مجهول لها، فقررت البث المباشر من الآن ولتترك الجهاز يعمل حتى الصباح، فلن يضيرها شيء مع تأمينها بتغيير الآي بي الخاص بها لآخر غريب في قطر آخر!

كانت تستعين بكل برامج المساعدة التي تعينها على رؤية ما لا تبصر، أحدهم على جهازها وآخر على جوالها، ولتحسبها بانقطاع التيار الكهربي قامت بتحميل برنامج الاختراق الذي ستعمل به على سيرفر الضحية، وبهذا حتى إن توقف جهازها عن العمل، سيظل البث مستمرا بلا توقف.

أتمت جميع مراحل الاستعداد لاختراق الكاميرا بكل الطرق الحديثة التي تعلمتها في دورة سيسكو الأخيرة، تبقى فقط إدخال رقم الآي بي، وببطء شديد كتبت الأرقام بمنتهى الحرص لمعرفتها بأن تبديل رقم واحد قد ينقلها لشيء آخر تماما إن لم يوقف عملها، ولأن البرنامج الذي تعمل عليه لا يحتاج لكلمة تأكيد في النهاية، فور انتهاء الرقم يعمل بشكل تلقائي!

كان رقم الآي بي مكون من أربع خانات كل خانة بها رقمين أو ثلاث، وبدأت كتابة الأرقام بترتيب معكوس، الخانة الرابعة أولا، ثم الثالثة، تليها الثانية، وأخيرا الأولى والأخيرة!

كتبت أول رقمين في الخانة الأخيرة، وقبل أن تنتهي بكتابة الثالث إذا بانقطاع التيار الكهربي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وسط حُجب الظلمة في كيسه القماشي الأسود ومن بين ذكريات كثيرة تدفقت كالشلال إلى ذهن عامر، توقف عند مشهده العجيب الذي وقع فيه عندما حاول تشغيل الكرة الفضائية ذات الوميض الأزرق.

عندما اقترب بعينيه نحوها وهو يدقق البصر فيها بحثا عن أي شيء يمكن الضغط عليه لتشغيلها، وبينما يقوم بتدويرها ببطء شديد بين يديه، إذا بوميض آخر أخضر اللون يصدر عنها لثلاث ثوان، ثم يتوقف وتسترد وميضها الأزرق بثبات مجددا!

استل الحرس سلاحهم وحجبا الرئيس الأمريكي بجسديهما الضخمين تحسبا لأي شيء، ولكن لم يصدر حتى أي صوت عنها، ولم يظهر الوميض الأخضر مجددا بعد انتظاره لما يقارب نصف الدقيقة!

اقترب منه الرئيس الأمريكي وهو يقول له:

- كيف فعلتها؟

بتعجب أكبر منه رد عليه عامر قائلا:

- لا أدري!

- لقد اختبرنا هذه الكرة لأعوام عديدة بأعلى تكنولوجيا معروفة على الكوكب وظلت لغزا مستعصيا، وكل محاولاتنا لمعرفة كيفية عملها باءت بالفشل،

ولهذا تركناها للأسبان تحت المراقبة عسى أن يحدث جديد بين أيديهم بمعرفة شيء قد نجهله عن تاريخها، ولم يحدث جديد إلا بين يديك، وتدعي الجهل!

- أقسم لك منذ خرجت بها من مدريد هذه أول مرة أقلبها بين يدي هكذا! هل من الممكن أننا انتقلنا بالزمن الآن ولكن في المكان نفسه ؟!

لمعت عينا الرئيس الأمريكي بشغف وهو يقول:

- يبدو أننا سلبنا الأسبان ما هو أثمن بكثير من كنزهم بالفعل.

ورفع جواله ليتصل بنائبه مسائلا عن تاريخ اليوم وما هي الساعة، وبحاجبين منعقدين وبلهجة رافضة طالب نائبه بالتيقن من ذلك.

أغلق جواله وقد اعتلاته أمارات الخيبة وهو يقول:

- لا شيء ما زلنا كما نحن.

ثم نظر للمحقق وقال له:

- اسلخ جلده إن شئت حتى تستخرج منه كل شيء، لا تجعل إدعاء البلاهة البادي عليه هذا يغريك بأي توقف.

وقبل أن يرد عليه المحقق انفتح الباب بعنف ومن فتحه يهتف بجزع قائلا:

- معذرة سيدي الرئيس، لقد وقعت كارثة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفت السيارة بعد كثير من الارتجاجات التي شعر بها عامر أثناء مسيرها الطويل، مما يؤكد أنها كانت على طريق غير ممهد!

نُزع الكيس القماشي الأسود عن رأسه، فتح عينيه ببطء بعد أن غشيهما ضوء الشمس الساطعة الدافئة، بعد طول إظلام طوال رحلته بذلك الكيس المعتم، وما إن اعتاد الضوء وتجلت له الرؤية التامة، حتى وجد المنزل الخشبي العتيق نفسه الذي بدأت عنده قصته الحقيقية مع منظمة اليد الواحدة في أدغال كولومبيا!

هبط من السيارة، ليقول له قائدها:

- لقد جئت هنا من قبل وتعرف التعليمات.

وبلا انتظار للرد منه انطلقت السيارة مخلفة وراءها سحابتها الترابية التي أخذت تنزوي رويدا.

هز رأسه بأسى وهو لا يدري هل يشعر بالفرحة والحنين لذكرياته غير القريبة مع هذا المنزل، أم يشعر بالحزن لما وقع له بسببه!

طرق الباب ليفتح له الرجل نفسه كبير السن؛ مرتديا نفس البدلة العتيقة، والصديري والحمالات، وشعره وشاربه الأشهبين، وكذلك نفس الابتسامة الودودة وجملته المرحبة:

- أهلا يا عامر، مرحبا بك يا بطل.

- عن أي بطل تتحدث؟

أشار له الرجل ليستريح على الكرسي الخشبي، وبعد ثوان خرج له خادمه بالمشروب البارد ذو اللون الأخضر مجهول الهوية الذي تناوله من قبل، ولم يتغير مذاقه الجميل مع نقيض مشاعر عامر عن المرة السابقة!

وبعد انتهاء عامر من شرابه صحبه الرجل لمكتبته الهائلة ليجلسا على نفس المقعدين، يبدو أن الرجل إما عاشق للبقاء وسط واحته المعرفية هذه، أو محب لبث نفس الأثر النفسي في محاوره؛ بأنه الأكثر معرفةً والأدق؛ إن كانت هذه هي موارده البادية للعين!

تنهد الرجل وبنفس البسمة الودودة قال:

- أعلم مشاعرك السلبية وحيرتك ودهشتك من كل ما حدث، ولكن ستنهمر عليك المفاجآت تباعا الآن، لقد نجحت الخطة في كل مراحلها، بل وفاقت كل توقعاتنا في النهاية المذهلة كذلك!

طوقت الدهشة مشاعر عامر وقتلت المرارة التي تعتريه وهو يقول:

- عن أي نجاح تتحدث؟! لقد انهرت مع أول صفعة واعترفت بكل شيء، والكرة الفضائية أخذها الأمريكان بدلا من توصيلها إليكم، ولولا حدث عجيب لا أعرف ما هو حتى الآن لكنت في عداد الأموات!

حتى الآن لا أدري سر إطلاق سراحي المفاجيء، وطردي على أول طائرة إلى كولومبيا.

بكل هدوء وبنفس البسمة التي تقارب أن تكون هي ملامح الرجل الثابتة وبنفس صوته الرخيم قال:

- إذن استعد لدهشة جديدة تفوق ما سمعت هنا من قبل، وأكرر لك بأن قصتك هذه المرة لم تبدأ في إسبانيا هذا العام، وإنما في أرضنا العزيزة هنا؛ ما تسمونه بأمريكا الجنوبية، وقبل الميلاد بعشرة آلاف عام.

قاطعه عامر قائلا:

- أعلم قصة النيازك تلك، فقد حكاها لي دكتور موريس.

- نعم حكى القصة ولكن مع تعديلات تزرع بك ما يخدم الخطة التي أُعدت، الآن سأقص عليك الحقيقية بكامل تفاصيلها.

شُحذت مشاعر عامر باللهفة والفضول الكبيرين، لقد نجح الرجل في إخراجه من نمطية مشاعره بالفعل، وها قد ظهرت له بدايات إزاحة أطراف الستار، فتُرى ماذا هناك؟!

لزم الصمت بعينين متقدتين تناديا الرجل الاستمرار في الحكي دون توقف، وبالفعل استطرد الرجل قائلا:

- الجندي الأخير في معركة (ظل الذئب) والمسمى بالحافظ؛ والذي حاول الهروب بالجمرة التي تحميها قبيلته كما كانوا يطلقون عليها، عندما ظهر له الجندي الإسباني الضخم، وعندما وجه سلاحه نحو رأسه وقد اقترب منه كثيرا، سحب الأجزاء، اعتمرت بندقيته برصاصة مستعدة للقتل المباشر، ضغط الزناد، والحافظ يغمض عينيه منتظرا الوفاة المفاجئة مع تفجر مخه على إثر هذا السلاح الشيطاني كما رأى من قبل، ولكن..

لم يصدر شيء!

ضغط الجندي الإسباني مرارا على زناده، ولكن لم تنطلق الرصاصة أبدا!

وهنا تعادلت القوة، بدن قوي مقابل آخر قد يعادله في القوة!

وكان من السهل على الحافظ أن يتغلب على مصارعه وينطلق بكنزه إلى رحلة الحفاظ عليه، فالأمر كما الحال مع الدعاية الأمريكية متعددة الأشكال والأنواع؛ أهمها السينمائية؛ يوحي إليك أن الجندي الأمريكي رجل خارق يمكنه بذراعه اليمنى فقط أن يبيد مدينة كاملة، في حين أن كل مواجهاته تكون من السماء بطائراته أو من الأرض عبر مسافات شاسعة وباستخدام أسلحة حديثة بعيدة المدى كثيفة التكنولوجيا، ومن النادر أن يدخل في مواجهة مباشرة مع الطرف الآخر!

عندكم آية في كتابكم المقدس تقول ذلك تقريبا؛ ﴿ ه ہ ۂ ۂ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾.

وهذا ملموس بشدة مع الأخبار القادمة من الفتيان في فلسطين، وما يصنعون من معجزات بشرية باستخدام سكاكين المطبخ أو أسلحة بدائية، في مواجهات والتحام مباشر مع جموع الصهاينة المسلحين بقوة هناك!

قاطع عامر استطراده قائلا:

- إذن هو لم ينتقل بالزمن مثلما أخبرني دكتور موريس، فما الذي حدث؟ صدفة عادية بتعطل سلاح الإسباني، فما الإعجاز في ذلك، ولمَ خُلدت القصة؟

- ستكون صدفة لو تفرد بها وحده، ولكن ما حدث بعد ذلك من تعطل جميع الآليات الحديثة فور اقترابها من تلك الكرة الفضائية؛ شرح لنا ما حدث مع ذلك الحافظ؛ فتعطل سلاح الإسباني كان بفعلها وليس صدفة كما تقول، وهذا هو أثر الكرة الفضائية الوحيد المعروف حتى الآن.

قال عامر بدهشة:

- هل هذا ما حدث معي وتسبب في إطلاق سراحي؟

ضحك الرجل ضحكة قصيرة هادئة وقال:

- حنانيك ما زال السرد التاريخي يحمل الكثير كي تتفهم نقطة النهاية التي وصلت إليها.

- حسنا فلتنهها بسرعة، والأهم من ذلك، أريد معرفة لماذا أنا هنا مجددا، لقد طلبت السفر إلى مصر ولا حاجة لي بمبررات أو شرح، يكفيني أن الأمر انتهى وكفى.

نظر له الرجل بعمق صامت، ثم هز رأسه واستطرد قصته كأنما لم يسمع سؤاله الاعتراضي الذي لم يتوقعه:

- القصة التي رواها لك موريس عن قتال السفن الإسبانية الناهبة لأكوام من الذهب النقي الخالص المستخرج من أرضنا، أعتقد بإدراكك الآن أن الانتقال الزمني لم يكن له أي دور فيها، ولكن الكرة كان لها أثر فعال وفارق معها جدا.

بتساؤل حقيقي قال عامر:

- كيف هذا؟ لو كانت تعطل كل شيء فحتما ستعطل محركات السفينة، فكيف ستنطلق السفينة من الميناء بمحرك عاطل، وكيف يتم توقيف أثر الكرة الفضائية حتى يتم الإبحار إلى نقطة الاشتباك؟

- رائع، استيعابك وحضور ذهنك فائق كالعادة، لذا ستتفهم كل التالي بسرعة؛ في العهد الروماني كان هناك عنصر كيمائي شائع الاستخدام، تم ربطه بكوكب زُحل، وكان اليقين أنه –أي زحل- مصدر هذا العنصر، أما كيفية وصوله للأرض لم يتحدث أحدهم عنها، هذا العنصر كان حاضرا بقوة في تجارب الكيميائيين في عصر الحضارة الإسلامية وخصصوا له الرمز نفسه المستخدم منذ العهد الروماني المندثر كان رمزه هكذا ().

خط الرجل الرمز أمام عامر الذي قال بتململ:

- بدأت في السأم من التفاصيل التي لا داعي لها!

ظل الرجل محتفظا ببسمته الودودة الملتصقة بوجهه وهو يستطرد قائلا:

- علماء المسلمين كذلك ظنوا أن مصدر هذا العنصر هو كوكب زُحل، وبهذا ظلت سمعته الفضائية ملازمة له عند كل من يعرفه؛ لذا تفتق ذهن أحد أعضاء منظمة اليد الواحدة؛ أحد الهاربين من جحيم الأندلس عن تلك الفكرة؛ إذا كانت الكرة قد جاءت من الفضاء فيمكن تجربة هذا العنصر الفضائي في توقيف أثرها، وبالفعل بعد تغطية الكرة بذلك العنصر، يعمل السلاح الناري الذي تم اغتنامه في أحد المواقع، وفور تحرير الكرة منه يتعطل السلاح مجددا، فكانت الفكرة هي توقيف مفعول الكرة بهذه الوسيلة، ووضعها في أحد صناديق الذهب مع تمييزه بعلامة (X) حتى تصل السفينة إلى نقطة الاشتباك، ويقوم أحد الفرق المندسة داخل السفينة بتحرير الكرة من المادة التي تكبلها؛ فتتعطل جميع محركات وأسلحة السفينة التي يسهل الفوز عليها، ونجحت الفكرة بامتياز ساحق، وفي كل مرة نستعيد الكرة بعد الفوز على طاقم السفينة الغاصب، ولكن للأسف تم اكتشاف هذا الفريق المندس داخل إحدى السفن وإعدامهم قبل القيام بمهمتهم، وفشلت مهمة الإيقاع بهذه السفينة التي كادت تنجح في الوصول إلى إسبانيا، ولكن قدر الله لها الغرق عند مضيق جبل طارق.

هتف عامر قائلا:

- هل تقصد أن هذه السفينة هي (نويسترا سنيورا دي لاس ميرسيدس)؟

- بالضبط، ولم يكن للكرة الفضائية أي دور في غرقها هناك، لقد ظلت كامنة كل هذه المئات من السنين داخل غلافها الرصاصي.

- هل تقصد أن العنصر المنسوب لكوكب زحل هو الرصاص؟

- نعم هو.

- وكيف لم يكتشفها الأمريكان كل هذه السنين؛ بعد اغتنامهم لكنوز السفينة؟ فحتما كرة مغلفة بالرصاص سينبشونها جيدا ويأخذون ما فيها.

تنهد الرجل وقال:

- ومن قال أنهم لم يفعلوا؟

تذكر عامر جملة الرئيس الأمريكي التي لم يفهمها وقتها، حينما قال له أن الكرة الفضائية تم فحصها بأحدث أجهزة الكوكب وتركوها للأسبان عسى أن

يكتشفوا هم طريقة عملها، فقال بدهشة أكبر:

- الآن أهم الأسئلة الوجودية كلها، بعد كل جهد الأمريكان وفشلهم، وحتما بعد جهد كبير من الأسبان عليها؛ كيف بدأت العمل بيدي أنا فقط، وما هي آلية عملها وقتها؟!

- الأمر معقد ومتشابك، دعني أسير خطوة بخطوة لتفهم كل شيء بهدوء.

تنهد عامر بفراغ صبر وأشار بيده له أن يستكمل دون أن ينطق، فاستطرد الرجل قائلا:

- كانت هناك خطة قديمة من الصعب جدا تنفيذها بالكرة التي بقيت مع روبرت، الذي إئتمنه عليها الطيار الأمريكي قبيل مصرعه، وعندما لاحت بوادر استرداد إسبانيا لكنوزها بما فيها تلك الكرة التي وصلتنا معلومة بنية الأمريكان تركها لهم؛ في موقف لم نفهم دوافعه وقتها، قام جيفيد العبقري بإعداد خطة معقدة أنت بطلها الوحيد، رأي جيفيد فيك صفة نادرة اختبرها بأكثر من طريقة، وهي الشعور القوي بتحمل المسئولية، ورأي فيك أيضا الضعف البشري الطبيعي، فأنت لا تتميز بأي بطولة غير اعتيادية.

قال عامر ساخرا:

- لهذا اختارني للقيادة من بعده؟

قهقه الرجل وقال:

- أمر القيادة هذا كان أحد وسائل استجلاب درجة الإحساس بالمسئولية ورفعها عندك.

اتسعت عينا عامر قائلا:

- هل تعني أنها خرافة توهمتها أنا بناء على كذبتكم؟

ارتبك الرجل وهرب بعينيه وهو يقول بخجل:

- لم تكن تلك هي الخدعة الوحيدة.

شعر عامر بالانسحاق التام وهو يقول بمرارة:

- ماذا أيضا؟

- الكرة التي تسلمها الأسبان لم تكن الفعلية التي يبغونها، فقد كان حصولنا عليها قبيل وصولهم أسهل بكثير؛ وسط لامبالاة الأمريكان وعدم حرصهم الكبير على حراسة الكنوز بشكل فائق، لهذا استبدلناها بأخرى عملنا عليها

لوقت طويل جدا، وصلت إسبانيا وسط حراسات فائقة متوقعة؛ فقد كانت بالنسبة للأسبان كوليد لعاقر ستخفيه بين أضلعها ولا يمكن استخلاصه منها.

وأثناء عملهم عليها، قمنا بتسريب معلومة إلى الأمريكان أن هذه الكرة ما هي إلا ناقل زماني، جن جنونهم فور معرفتهم، وكان أكثر من اهتم بذلك هو الرئيس الأمريكي نفسه، فنحن نعرف شغفه الخاص بهذا الأمر، وحتى قبل دخوله مؤسسة الرئاسة، سخَّر الكثير من موارد شركاته الكثيرة لتجارب وأبحاث السفر الزماني، وبعد تيقننا من تحقيق الغاية من وصول المعلومة بدأت خطة تحركك، أحد رجالنا في موقع كبير وسط الأمن الإسباني ذهب ليقول: بأن الكرة التي معهم ليست الحقيقية، وتم تسليمك الكرة المعدة خصيصا لخطتنا، مع تأكيد عملية اكتشافك في المطار؛ التي سيلتقطها الأمريكان وينتظرون اقتناصك في الطريق.

- تقصد تحركي أنا وماريانا.

ارتبك الرجل مجددا وقال بتردد:

- ماريانا كادت أن تفسد كل شيء؛ أعتذر إليك مجددا عما سيتكشف الآن؛ كان الهدف من مجيء ماريانا إليك هو إبقاؤك على المسار المحدد لك حتى يوم الانطلاق وفقط، ولكن يبدو أنها قد ارتبطت بك عاطفيا مما دفعها للاستمرار معك، حاولنا بشتى الطرق في نزعها عنك وفشلنا، فما كان منا إلا استخدامها في تأمين خطوات المرور من المطار، وأخيرا عرفنا نقطة ضعفها؛ إنها زوجتك، حتما بطبيعة ماريانا وثقافتها لن تقبل مشاركتها، بكثير من النقاش والدلائل كشفنا لها ارتباطك الوثيق بزوجتك وعدم استعدادك للتخلي عنها أبدا، وعندما ساءلتك متى اتصلت بها، كانت بالفعل تلك النقطة الفاصلة، علمت أنها تقضي معك مجرد أيام جميلة وفقط، وأن ارتباطك بزوجتك وثيق وقوي ولن يمكنها نزعك واحتواؤك لها فقط، ووافقت على الانصراف عنك فور الوصول إلى مطار نيوآرك الأمريكي.

تذكر عامر القصة الطويلة التي قصتها قبل أن تودعه، الآن فقط تفهّم مغزاها ومقصدها هي وجملة الواتس التي تمنت فيها كذبه!

فقال بمرارة وملامح متألمة:

- إذن كانت الخطة هي الاستعانة والتضحية بي ومنحي وما معي للأمريكان، ولعلمكم بضعفي فقد كانت الخطة أن أعترف بكل ما علمت من الدكتور موريس، وبعدها لا يهمكم مصيري أيا كان، فقد أديت ما عليّ، والذي لا أعرف الهدف منه حتى الآن!

تنحنح الرجل وقال:

- هل تذكر ما هو الهدف الأسمى والأول لمنظمة اليد الواحدة؟

- نعم كان العمل الموحد لوصول مَن يؤمن بمبادئها إلى مواقع القيادة فيمكنُه صنعُ فارق بها، ومحاولة إزالة من يعاديها عن تلك المناصب.

- بالضبط، لقد كان صيدنا هذه المرة كبيرا؛ الرئيس الأمريكي نفسه، أعدت له المصيدة بعناية ووقع فيها، كان حلمنا أن أعضاء فريقه من تلتف حولهم الشباك وبالتالي يسقطون ويجرونه معهم، ولكنك أوقعت بالرأس الكبيرة نفسها.

- كيف هذا؟

- الكرة التي معك والتي قلت لك بأنه تم العمل عليها لمدة كبيرة، كانت تحوي بداخلها بثا مباشرة يتم تفعيله ببصمة قزحيتك أنت فقط، كنا نثق بأن التحقيقات معك كانت ستدفعهم لسؤالك ثم منحك إياها لتشغيلها، وبهذا عند اقترابك منها وبقزحية عينيك تعمل كاميرا فائقة بداخلها، على نقل ما يحدث معك صوتا وصورة، وكان ذلك البث معد لكل المنصات الإخبارية العالمية، ولكن كانت سبل الوقاية الإلكترونية لديهم قوية، أفشلت هذا البث، فكل ما يرتبط بشبكة الانترنت مفصولا بغطاء إلكتروني وقائي قوي لا يسمح بالنفاذ إليه، ولهذا كانت رسائل الواتس التي حاولت إرسالها لا تخرج من المبنى، حتى حدثت المعجزة!

بعد تيقن الرئيس من اعترافك بأن ما معك ناقل زماني، طلب تسلمك شخصيا من فريق السي آي إيه، وكانت عملية خروجك من المبنى معد ومصور على أنه هروبك، التقطك رجال الرئيس إلى مبناهم الخاص، ونيتهم فور الانتهاء منك بعد تشغيل الانتقال الزماني؛ قتلك ونشر الخبر أنه تم أثناء مطاردتك بعد الهروب.

حاولنا كثيرا كسر الحجب الأمنية الكثيفة لمحاولة التقاط البث وفشلنا، وكان من حظنا الكبير وفي صدفة إعجازية قدرية لا تتكرر؛ أن أحد المخترقين من مصر نجح في كسر هذا الحجب لثوان كانت تكفينا لأن نستكمل ما فعل بما لدينا من قوة، وتم البث الفعلي للرئيس الأمريكي نفسه وهو يعترف بالتجارب على الكرة وتركها تحت المراقبة للأسبان ثم سرقتها، وكانت الفضيحة العالمية!

- هل تعني أنه تم عزله الآن؟

- الأمر أعقد وأصعب من ذلك، فعودة لمبدأهم المخابراتي القديم: (إذا أردت أن تنزع من العامة الثقة في خبر هام، أغرقهم بأخبار كثيرة مشابهة من

المؤكد كذبها، وأظهر لهم البينة على هذا الكذب، فيتوه الخبر الحقيقي وسط كل هذا الفيض من الأكاذيب!).

فقد نقلوك بسرعة إلى كولومبيا مع بث فيديوهات مباشرة لك وأنت على سواحلها، مع نشر أكثر من فيديو للرئيس الأمريكي وهو يسرق بعض خزائن الأموال في بث مباشر مشابه، وبهذا نجحت الخطة وتشوه الأمر.

قال عامر بتعجب:

- معني هذا أن التضحية بي كانت بلا طائل!

- بالعكس لقد حقق مراده وبقوة، هذا الرئيس لن ينجح أبدا في انتخابات الرئاسة القادمة، فرغم كل ما فعلوا، فقد اهتز البنيان بالفعل على المستوى الجماهيري، وأيضا على المستوى الدستوري بتدخله في عمل السي آي إيه ونزعك منهم لمصالح شخصية، وأيضا النزاع الإسباني المرتقب بعد تيقنهم بوسائلهم الدقيقة من الخبر السليم.

- هل تعني أن نجاتي كانت بصدفة قدرية عجيبة من مخترق مصري كان يعبث!

ضحك الرجل قائلا:

- يبدو أن هناك من كان يصلي لأجلك وترعاه الملائكة!

أخذ عامر نفسا عميقا وشرد ببصره للحيظات وقال:

- نعم بالطبع ولا غني لي عنهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد عامين..

حمل عامر صغيره (حمزة) وهو يهزه، أخذ يربت على ظهره وهو يحدثه بما لن يفهمه طالبا منه الهدوء والسكينة، لم يستجب الصغير له أبدا!

حملته عبير عنه برفق وما إن استقر بين يديها حتى لازمه الصمت والهدوء!

فقال عامر ساخطاً:

- ما الجديد؟ كتفي هو كتفك، لم الصمت معك فقط؟

قالت عبير ضاحكة:

- هذه أشياء لو علمتموها لأصبحتم من العمداء.

توجه عامر لأبيه الذي يتابع البث الحي لبعض الأخبار، كانت كلها تظهر آثار الدعم الأمريكي للديكتاتوريات في شتى بقاع الأرض!

تنهد عامر وقد تذكر فشل الرئيس الأمريكي السابق في الانتخابات، وقد هلل الكثيرون من ضحايا السياسات الأمريكية في كل مكان بأطراف الكرة الأرضية، وكأنما الرئيس الجديد سيعيد لهم ما انتهبه سابقوه بطرق مباشرة أو غير مباشرة!

نطق عامر قائلا:

- ما الفارق بين هذا الرجل وسابقه؟

اعتدل أبيه بهدوء قائلا:

- تتميز السياسة الأمريكية أنها ليست فردية ولا ترتبط بزعيم مهما كانت مكانته، هناك خطط استراتيجية طويلة المدى يلتزم بها الرئيس هناك أيا كان توجهه أو معتقده، لهذا لن تشعر بالفارق الكبير بين الحالي والتالي أو السابق، ولكن شتان بين من يحرك جيوشه لتقتل مباشرة وتستحل الأرض والعرض، ومن يقف عند تنفيذ السياسة العامة دون مواجهة صاخبة ومباشرة.

هز عامر رأسه غير مقتنع بأن ذلك كان يستحق الخطط الكبيرة والمعقدة التي أعدت لهذا، والتي كان ضمنها التضحية به لأجل نجاحها!

وشرد ببصره وهو يتذكر نهاية لقائه مع رجل منظمة اليد الواحدة عندما سأله عامر قائلا:

- ما زلت عند سؤالي الوجودي؛ لمَ هذه الجلسة ولماذا لم أذهب لمصر حتى الآن؟!

قام الرجل ليجذب من بحر مكتبته كتابا اسمه (هدايا الأقدار)، وضعه أمام عامر وهو يقول:

- هل قرأت هذا الكتاب من قبل؟

تنحنح عامر قائلا:

- أنا مقصر في القراءة بلغتي الأم، فما بالك بكتاب لاتيني؟!

- هذا الكتاب لن نأخذ منه الآن سوى عنوانه، فبعد انتهاء العملية بإعجاز حقيقي، وكثير من الصدف القدرية التي يستحيل تجمعها في آن واحد، إذا بالرب يمنحنا هدية قدرية جديدة تفتح لنا بابا لم نحلم به يوما.

- أي باب هذا؟

- نحن الآن في مراحل وضع الخطوط العريضة لولوجه، ثم الخطة الدقيقة لتنفيذ عملية جديدة فريدة من نوعها، أطلقنا عليها اسما مبدأيا هو (أنقذوا غزة).

اتسعت عينا عامر دهشة قائلا:

- هل لكم تعاون مع حماس في فلسطين؟

ضحك الرجل بقوة قائلا:

- (غزة) الذي نعني شيء آخر، والخطة لن تنجح إلا بك.

انتصب عامر واقفا وهو يهتف قائلا:

- لاااااا، لقد انتهى كل شيء بيني وبينكم، والحمد لله لم يعد هناك ما يثقلني بتحمل أي مسئولية، ولست مدينا لكم بأي شيء، بالعكس أنتم المدينون بالكثير بعد خداعكم الكبير وهوان حياتي عندكم.

ظل الرجل على صمته الهاديء ناظرا نحو عامر بعمق الذي لم تهدأ ثورته حتى بعد انتهاء خطبته، فهز رأسه قائلا:

- ماذا؟

- كما أخبرتك من قبل؛ سبل النجاح هو العمل الاستراتيجي الكبير طويل النفس والمدى، وكل ما تفوهت به الآن سيكون أحد أهم عوامل نجاح الخطة.

هز عامر رأسه قائلا:

- مع أنفسكم، أريد العودة لأهلي الآن.

- بعد دقائق ستصل السيارة التي تقلك للمطار، وثق أننا لن نتواصل معك إلا عند يقيننا أن كل حرف في الخطة قد استقر في مكانه السليم.

انتفض عامر بعد اهتزاز كتفه وعبير تقول له:

- إلى أين ذهب عقلك، جوالك لا يكف عن الرنين.

ذهب عامر إلى حيث جواله بغرفة نومه، كان قد توقف عن الرنين، ولكن وصلته رسالة نصية من كلمتين:

(أنقذو غزة)

[تمت بحمد الله]

الكاميرون

٠٥/١٢/٢٠٢٢

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة